مجلة البيان مكتبة
شبكة مشكاة الإسلامية
هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان – العدد 11 ، شعبان 1408هـ / أبريل 1988م

الافتتاحية

كلما أوقـدوا ناراً للحرب .. أطفأها الله

إن سيطرة اليهود على فلسطين ، وما أصاب أهلها وما حواليها من البلاد من ذل وتشريد وقهر نتيجة ظلم اليهود وأنصار اليهود.. كل ذلك هو محنة وابتلاء للمسلمين، يبتلي الله به عباده بسبب تقصيرهم في الدفاع عن حرماتهم. وفي الابتلاء يسقط قوم، وينجح آخرون، أما الذين يسقطون فهم الذين يكونون عوناً للعدو في نشر فكره ومشابهة أخلاقه ، ويكونون عيناً له على أبناء جلدتهم يبيعونهم لقاء عرض من الدنيا قليل، ويتاجرون بدماء شعوبهم من أجل التمكين لأنفسهم. أما النكاية بالعدو فآخر ما يفكرون فيه. ومن هؤلاء الذين يؤمنون بسياسة الأمر الواقع ، ويدركهم التعب من طول الطريق ومشقة السير ، فيطرحون الحلول التي يرضى عنها الأعداء كي يظهروا أناساً واقعيين غير متعصبين.

وأما الذين ينجحون فهم الذين يعتبرون المحنة فرصة لتمييز الخبيث من الطيب من النفوس ، ويصبرون على البلاء دون تذمر أو عجلة ، ويرجعون إلى عقيدتهم ودينهم الذي يتفق مع منطق التاريخ وقوانين الصراع ، ويرون أن وجود اليهود في فلسطين - ولو استظهروا بكل قوى الكفر ، شرقية وغربية - مخالف لمنطق التاريخ وسننه الجارية.

لقد أراد اليهود وأنصارهم أن يقطعوا صلة المسلمين في فلسطين بربهم ، ووضوا من الخطحط للقضاء على هذا الشعب وتشتيته الشيء الكثير.. لكن إرادة هؤلاء ليست مطلقة ، حتى ولو ملكوا ما شاءوا من المال والسلاح ؛ لأن الله وإن أمد للظالم ، فهو - سبحانه وتعالى - لا يتركه يتمادى بظلمه وجبروته إلى الأبد ، ولأن الباطل مهما علا وعربد وانتفش فإن الحق غالبه لا محالة.

لقد كانت - وما زالت - محنة رهيبة أن يصول اليهود ويجولوا في الأرض التي بارك الله فيها ، محنة لا لمن يستوطن هذه البقاع فقط ، بل لكل مسلم على وجه الأرض.
وكان هناك بدهية مستقرة عند أغلب المسلمين ، وهي أن سيطرة اليهود على فلسطين بمساعدة الغرب الصليبي ليست إلا مرحلة من مراحل الصراع الطويل بين الإسلام من جهة ، وبين الصليبية الغربية من جهة أخرى. وهذه السيطرة تحقق عدة مكاسب ، فهي تساعد على بناء قاعدة متقدمة للمستعمرين الأوربيين ، وتكون عامل إضعاف مستمر للقوى العربية الإسلامية بأيد غير صليبية ، وإن كانت أمينة على تطبيق القيم والمفاهيم الغربية. ولا غرابة في ذلك ؛ فاليهودية والصليبية تشتركان في عمق فكري واحد.
وكان في تغييب الإسلام عن التأثير في مجرى الأحداث - منذ أن اكتسح الغرب الصليبي البلاد الإسلامية ، وخصوصاً منها التي كانت واقعة ضمن الدولة العثمانية - جناية كبرى على هذه البلاد وعلى شعوبها التي أريد أن تزدهر بينها كل الدعوات ما عدا الإسلام ، وتتنفس في أجوائها كافة البدع ، واستثني الإسلام بكل صلف وخسة ، وطوردت كل دعوة صادقة للحفاظ عليه عقيدة للأمة ، ووسيلة عملية وهدفاً ، لا مجرد تراث للتغني والمزايدة.
في مثل هذا الجو أصبح أعداء الإسلام وتلامذتهم الجهلة يرددون مقولات كثيرة ليست إلا خيانة وتواطؤاً تلبس لباس التعالم والاستهزاء بعقول الناس مثل :
التفريق بين اليهودية والصهيونية.
القومية العربية طريق تحرير فلسطين.
الدولة العلمانية هي مطلب الفلسطينيين.
بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد هو سبيل تحرير فلسطين.
نضال الطبقة العاملة هو سبيل التحرير.
إلى غير ذلك من الشعارات التي لا تكاد تحصى ، والتي تتشعب في متاهات لا تنتهي ، ولا يجمعها إلا شيء واحد فقط هو الكيد للإسلام وأهله في هذه البلاد.

وفي ظل هذه الدعوات والشعارات وصل العرب إلى مستوى لا يحسدون عليه ، فتبددت طاقاتهم ، وتفرقت كلمتهم وزالت هيبتهم.
ففي الوقت الذي سودت فيه آلاف الصحائف في الدعوة إلى الوحدة على مستوى العالم العربي ؛كان داء الإقليمية يستشري ويمد جذوره عبر هذا العالم الذي تعصف به الأهواء ، وتتوزعه القوى الكبرى بعيداً عن رغبات شعوبه.
لكن على الرغم من كل هذا فإن هناك حقيقة تستعصي على التجاهل وهي أن المحرك المركزي لهذه الشعوب هو الإسلام ، وأنه العقيدة التي لا يورث القفز عنها ومحاولة تجاوزها إلا الذل والضياع.
فقد غبر العرب زمناً يولون وجوههم قبل المشرق والمغرب ، ولم يحصدوا ممن استنصروا بهم إلا الخيبة والشماتة والبوار.
تشبثوا ببريطانيا فخذلتهم ، وها هم يتمرغون على أعتاب وريثتها أمريكا ، والنتيجة ماثلة للعيان : ضياع للمقدرات ، واستنزاف للطاقات ، وصورة قاتمة عن الإسلام وعن العرب ترسمها الصحافة اليهودية والصليبية المسيطرة في أوربا وأمريكا.
ومنذ أواسط الخمسينيات اتجه العرب نحو روسيا الشيوعية ، وحدثتهم أنفسهم المضلَّلة بأن روسيا هذه ستنصفهم من الظلم الواقع عليهم من قِبل الغرب ، بل إن منهم من منَّى نفسه أن يهب الروس ليقاتلوا معه ذوداً عن حياض العرب بقنابلهم النووية والهيدروجينية! مع أن هؤلاء الروس البلاشفة يعلمون حق العلم أن العرب بوضعهم الحالي الضعيف - بعيداً عن عقيدة واضحة يتمسكون بها ، وينافحون عنها بصدق - لا يساوون أكثر من أجزاء لصفقة يحققون من ورائها نفوذاً على موائد المساومات مع القوى الغربية.
لقد أدرك الناس ذلك بكل وضوح ، وليس غريبًا أن يعبر أهل فلسطين عن هذا الإدراك تعبيراً عملياً سمع به العالم كله. فقد وقع هذا الشعب ضحية القوى الصليبية العالمية التي ظاهرت الصهيونية على سلبه حقوقه وتشريد أكثريته في الآفاق، ووقع مرة أخرى ضحية انخداعه بالوعود المعسولة ، وكان يتغذى على

الخطب ، ويتعشى بالشعارات ، وينام على حلم يداعب أجفانه بـ "صلاح دين" آخر يأتي من الشرق، وبـ "قطز" جديد يأتي من الجنوب أو الغرب. ولم يدر أن الذين وضع أمله فيهم لتحقيق هذا الحلم ليسوا من هذا الأمر في كثير ولا قليل. فالأمر على زمان صلاح الدين وقطز كان أسهل! ولم تكن هناك حدود ، وقانون دولي ، وهيئة أمم ، ومجلس أمن...! عجباً !كيف ظن الفلسطينيون أن هناك من يمكنه أن يتحدى ما يسمى "بالشرعية الدولية"؟!.

لقد أدرك أهل فلسطين ذلك جيداً ، فرأوا أن يبادروا الأمر بأنفسهم - وحسناً فعلوا - فتركوا أمر الحسابات لأصحاب الحسابات ، وحملوا عقيدتهم الإسلامية يستلهمونها الثبات ، وأعرضوا عمن سرقوا صبرهم داخل الحدود وخارجها من شيوعيين وعلمانيين ، وقرروا أن ينطلقوا من المسجد وأن يلجئوا إليه.

وهكذا تبدو لهذا الشعب عدة حقائق جديرة بالتوقف عندها :

فقد أدركوا أن المحرك الفعلي للجهاد والكفاح هو الإسلام ، وأن الشيوعيين الكذبة هم حلفاء اليهود ، وقفوا معهم منذ البداية ، ويرون في إسرائيل دولة وجدت لتبقى.

وأن دعاة القومية العلمانيين هم صنائع للإنكليز ، يكاد يقتلهم اللهاث وراء الحلول الاستسلامية التي يعدهم بها أولياؤهم من الصليبيين.

وعلى الرغم مما يظهر من شعور بالهلع لدى من نصبوا أنفسهم متكلمين باسم هذا الشعب ؛ لأنهم وجدوا كل متاجرتهم السابقة لم تفد شيئاً ، فتحركوا بنشاط إعلامي واسع لاحتواء دوافع الانتفاضة ، ومن ثم التأثير على توجيهها الوجهة التي يريدون ؛ فإن مما يبشر بالخير إدراك الشباب الفلسطيني المسلم إفلاس دعاة العلمانية الذين فاجأتهم أحداث الضفة الغربية وغزة ، فسارعوا وسط الحيرة يتدبرون أمرهم ليطوقوا هذا الواقع الجديد.

ولكن.. هل يستمر حبل الأكاذيب إلى ما لا نهاية؟!

يأبى الله ذلك... ويأبى المؤمنون الذين يستمدون منه - وحده - العون و التسديد.

مجددون معاصرون

حفل عصرنا الحديث بكوكبة مباركة من المجددين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وثبتوا على الحق الذي آمنوا به ودعوا الناس إليه ، وصبروا على كل نصب ومخمصة.. ولهذا فلقد التف الناس حولهم ، واستجابوا لمطالبهم النبيلة ، ووثقوا بهم أشد الثقة.. وإذا كان من المتعذر علينا فيما تبقى من هذا البحث تناول أسمائهم كلها فلسوف يكون حديثنا قاصراً على الأسماء التالية :

- محمد رشيد رضا.
-عبد الحميد بن باديس.
-العربي بن بلقاسم التبسي.
- حسن البنا.
-سيد قطب.
-محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ.
- عبد العزيز بن باز.
- محمد ناصر الدين الألباني.

ونظن أن بعض قرائنا الكرام سـوف يستـغـربـون اخـتـيارنا لهذه الأسماء، وربما قالوا :لقد أوقعنا كُتَّاب هذه المجلة في حيرة فهم يتحدثون عن الـتـزامهم منهج أهل السنة والجماعة ثم يشيدون برجال بعضهم لم يلتزم في دعوته أصول هذا المنهج؟!

وجوابنا على ذلك : إننا ننطلق من منهج أهل السنة والجـمـاعــة، وهو مقياسنا في الحكم عـلـى الرجال، ومن خالف هذا المنهج سنقول له : أخطأت والصـحـيح عكـس مـا قـلـتـه واجتهـدتــه، والمجدد ليس معصوماً عن الخطأ ، والخطأ في مسألة لا يخرج المجتهد من إطار أهل الـسـنـة والجـمـاعـة إذا كان من الداعين له.. والذي نريده من إخواننا القراء أن يمهلونا حتى ننتهي من كل مـا نـريـد أن نقــولـه في هذا البحث ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

عودة إلى الحديث عن رشيد رضا

ولد محمد رشيد رضا في 27 جمادى الأولى سنة 1282هـ في قرية "القلمون" التي تبعد عن مدينة طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، ودخـل المدرســة الرشيدية في طرابلس ثم تركها بعد سنة ودخل المدرسة الوطنية الإسلامية، وتـتـلـمـذ عـلـى الـشـيخ حسين الجسر مدير المدرسة الذي كان له إلمام واسع بالعلوم العصرية ، وكان في أول نشأته يميل إلى التصوف كما كان شديد الإعجاب بكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.. ثم ظفر- على حد قوله - بنسخة من جريدة العروة الوثقى في أوراق والده فأعجبته ، وكتب إلى جمال الدين الأفغاني الذي كان يقيم في الأستانة لكنه لم يجـتمــع به ، ثم اجتمع بالشيخ محمد عبده أثناء زيارته لطرابلس الشام، ثم رحل إلى مصر في رجب سنة 1315هـ،الموافق سنة1898 م ، وفي العام نفسه أصدر مجلة المنار التي استمرت حتى سنة1354 هـ، الموافق عام1935م. وكان عضواً في الحكومة السورية الأولى التي أقامها فيصل بن الحسين بعد الحرب العالمية الأولى ، فلما استولى الفرنسيون على سـوريــة وسقطت هذه الحكومة عاد إلى مصر ، وأعاد إصدار مجلة المنار بعد توقفها.

مات أستاذه محمد عبده سـنـة 1323 هـ، الموافـق سـنة1905 م، وهذا يعني أنه عاش في صحبته حوالي سبع سنين ، واستمرت المنار ثـلاثين عاماً بعد موت محمد عبده ، واستمر عطاء رشيد رضا الذي يكاد لا ينضب ، وخــلال هذه المرحلة صلح حاله وأقبل على كتب السنة ينهل منها، ويعترف في مقدمة المنار بأنـه خالف منهج محمد عبده بعد وفاته:

"هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالـفــت مـنهـجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة ، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الإكثار من شواهد الآيات في الــسـور المـخـتـلـفـة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها ، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر ، أو يقوي حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة..".

كانت مجلة المنار سجلاً تاريخياً لأحداث العالم الإسلامي طيلة أكثر من ثلث قرن ، وكان رشيد رضا هو المنار بتحليلاتها السياسية ، ودراساتها الـشـرعية .. ولهذا فلقد كان يواصل الليل مع النهار من أجل أن تخرج المنار في مطلع كل شهر ..
والعـجيب أنها كانت تخرج كثيفة المحتوى ، كثيرة الفائدة ، وكان بعيد النظر في تعليقاته ومواقـفـه، غـزيـــر الـمادة، كما كان أسلوبه قوياً متماسكاً.

قال شكيب أرسلان :

" ويطول العهد بعد الأستاذ الأكبر السيد رشيد - فسح الله في أجله - حتى يقوم في العالم الإسلامي من يسد مسده في الإحاطة والرجاحة وسعة الفكر وسعة الرواية معاً والجمع بين المعقول والمنقول والفتيا الصحيحة الطالعة كفلق الصبح في النوازل ، العصرية والتطبيق بين الـشـرع والأوضـاع المـحـدثـة مـمـا لا شك أن الأستاذ الأكبر فيه نسيج وحده انتهت إليه الـرئاسة لا يدانيه فيه مدان مع الرسوخ العظيم في اللغة والطبع الريان من العربية والقـلـم السـيال بالفوائد في مثل نسق الفرائد والخبر بطبائع العمران وأحوال المجتمع الإنـسـانـي ومناهـج الـمـدنية وأساليبها وأنواع الثقافات وضروبها إلى المنطق السديد الذي لم يقارع به خصماً مـهـمـا علا كعبه إلا أفحمه وألزمه ولا نازل قرناً كان يستطيل على الأقران إلا رماه بسكاته وألجمه.
وأجدر بمـجـمـوعـة " المنار " أن تكون المعلمة الإسلامية الكبرى التي لا يستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها " (1).

دعوة الشيخ رشيد :

نعيد للأذهان أننا نـتـحـدث عـن دعوة الشيخ رشيد رضا في المرحلة التي تلت وفاة شيخه محمد عبده (1905 - 1935)، ونلخص أهم ما دعا إليه في النقاط التالية:
1- كان ملـتـزماً بمنهج أهل السنة والجماعة ، وكان يحرص على أخذ أدلته من الكتاب والـسـنة، ويهتم بـتـخريج الأحاديث، ومعرفة الصحيح من الضعيف أو الموضوع، وانتهج مذهب السلف في الأسماء والصفات.

2 - من أهم ما دعا إليه نبذ التقليد ، والتحذير من البدع والخرافات ، والتنديد بمناهج الصوفيين وبيان ما وقعوا فيه من انحرافـات وضــلالات. وموقـف رجال عـصـره من البدع والـتـقـلـيد يختلف عن موقف رجال وعلماء عصرنا.
لـقـد عـاصــر رحـمــه الله هـيـمـنة أصحاب البدع والخرافات على شئون العالم الإسلامي ومقدراته ، فالسلطان عبد الحميد كان صوفياً نقشبندياً ، وبقربه قبع أبو الهدى الصيادي يـأمـر ويـنهى مدة لا تقل عن ثلاثين عاماً وكان يوغر صدر السلطان عبد الحميد ضد كل جديد ومجدد .. وكان اسم وظيفته الرسمية مشيخة المشايخ أو شيخ مشايخ الطرق الصوفية ونقيب الأشراف.
وفي مصر خاض السيد رشيد معركة حامية الوطيس ضد الخرافيين. والمبتدعين .. وردوا من جهـتـهـم له الـصـاع صـاعـين، وحاولوا تشويه سمعته، وبالغوا في الإساءة إليه، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: كـان رشـيد رضـا أول داعـية في الـعـصر الـحـديث يـتـصدى للمبتدعين والخرافيين ، وكان ينطلق في مواجهتهم من التزامه بمنهج أهل السنة والجماعة.
3 - كان بارعاً في ربطه بين الـتـصـورات والمفاهيم الإسلامية ،وبين واقع العصر وذلك لأنه كان من العلماء المعدودين في عصره ، وكان باعه طويلاً في العقائد والتفسير والحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة العربية، والعلوم الاجتماعية، كما كان إلمامه بمشكلات العصر جيداً وذلك بسبب أسفاره ومخالطته لعدد من علماء الغرب وفلاسفتهم ، وكان يعرف أفكارهم وطروحاتهم ، وله ردود جيدة عليهم في كتابه "الوحي المحمدي" وفي مجلة المنار.
4 - وكما قلنا في العدد الماضي كان داعـية من دعاة الإصلاح، لقد هاجم الترف والإسراف ، وحذر من الجهل والتخلف والخــوف مـن الـظالمين ، ونادى بالشورى وندد بالاستبداد والمستبدين ، ودعا علماء الأمة إلى القيام بواجبهـم فـي الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مآخذنا عليه :

1- ذكر في كتابه " تاريخ الإمام " العجب العجاب عن جمال الدين الأفغاني وعن محمد عبده.
- ذكر انتسابهما للمحفل الماسوني، وذكـر في الجـزء الـثانـي مـفـاوضـات محمد عبده مع القسيس الإنجليزي إسحاق تيلور ، وفي الجزء الأول ذكر اشتراك اليهود في هذه المفاوضات التي كان هدفها توحيد الأديان ، والتقريب بين الإسلام والنصرانية!!
- وذكر حوار محمد عبده مع عباس ميرزا أحد زعماء البهائيين ونبهه - أي رشيد رضا - إلى انحرافات البهائيين فأجاب تلميذه لم أفهم من عباس أفندي شيئاً من هذا!!
- وكان مـلـتـصـقـاً بمحمد عـبـده ويعرف صلته بحزب الأمة واللورد كرومر، والجاسوس الإنجليزي الخطير "ولفرد بلنت"، ويـعـرف أيـضـاً تـردد شيخه على صالون الأميرة نازلي داعية التبرج والسفور .. كان رشيد رضا يعرف كثيراً عن انحرافات محمد عبده ومع ذلك قال في ثنائه عليه :
" وإنـنـي وايـم الحـق لم أطلع له على عمل إلا الحقـيـق بلقب المـثـل الأعـلـى من ورثــة الأنبياء .. وقال أيضاً : إن هذا الرجل أكمل من عرفت من البشر ديناً وأدباً ونفساً وعقلاً وخلقاً وعملاً وصدقاً وإخلاصاً ، وإن من مناقبه ما ليس له فيه ند ولا ضريب ، وإنه لهو السري الأحوذي العبقري " (2).
ولا ندري هل هذا رأي رشيد رضا الحقيقي بشيخه رغم أخطائه الفادحة التي تتعارض مع المنهج الـذي كان يـتـبـنـاه ويـدافـع عـنـه ويشن حملات عنيفة ضد مخالفيه من المبتدعين المقلدين ... أم أن المجاملة حالت بينه وبين الاعتراف بالحق؟!
2 - بقيت بصمات محمد عبده ظاهرة فيما كان يكتبه رشيد رضا بعد وفاة الأول ، ومن الأمثلة على ذلك تأويله لمعجزة انشقاق القمر رغم تخريج البخاري ومسلم لها ، وتضعيف كثير من الأحاديث التي لا تتفق مع آراء أصحاب المدرسة الإصلاحية كما أنه صحح بعض الأحاديث الـضـعـيـفـة الـتي تـتفـق مع أفكاره التي كان ينادي بها (3). لكنه مع ذلك لم يتخلى عن منهج أهل السنة وكما يقولون : لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة.

3 - لم يكن موقف رشيد رضا من الدولة العـثـمـانـية سليماً ، ومن آثار هذا الموقف المؤسف قبوله الاشتراك في أول حكومة سورية بعد الحرب العالمية الأولى، وأهـداف هذه الحكومة لم تكن خافية على أمثال رشيد رضا ، بـل وكـثـير مـن رجـالات هـذه الحـكـومة مـعروفة انتماءاتهم العالمية المشبوهة.
ولو أن رشيد رضا وقـف عـنـد حـد نـقـد سـيـاســـة السلطان عبد الحميد وإطلاقه لأيدي الخرافيين والمستبدين ، أو أنه وقف عند حد نقد رجالات الاتحاد والترقي لما وجدنا في هذا أو ذاك غلواً منه، ولكن موقفه تجاوز هذا الحد ولم يكن صائباً في موقفه، وكان المنتظر منه غير ذلك لطول باعه في مـعـرفـة أحوال العصر ، ولا ندري إلى متى يستمر جهل كثير من العلماء بالسياسة؟ وإن كان موقف رشيد رضا هنا ليس ناتجاً عن الجهل.

لماذا بدأنا برشيد رضا؟ :

يبقى الشيخ رشيد رضا رغم أخطـائـه عالمًا كبيراً من كبار علماء أهل السنة ، ومن يتحدث عن التجديد في العصر الحديث لا بد أن يذكر مجلة المنار وصاحبها إذا كان جاداً ومنصفاً في بحثه. ولقد تأثر به علماء كبار مشهــود لهم بالفضل والخير والعدل. نذكر منهم الآتية أسماؤهم.
1- أسندت رئاسة تحرير مجلة المنار بعد وفاة رشيد رضا إلى العلامة السلفي الشيخ محمد بهجت البيطار أحد كبار علماء بلاد الشـام ، وذلـك بسـبـب الـروابــط القوية التي كانت تربطه بمؤسسها ، ولأنه خير من يخلفه في هذه المهمة ، وقد أشاد الشيخ بهجت برشيـد رضا ومنهجه في تقريظ له لكتاب الوحي المحمدي وفيما كتبه في المنار.
2 - قال العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: " السيد محمد رشيد رضا ، رحمه الله له فضل كبير على العالم الإسلامي ، بصورة عامة ، وعلى السلفيـين مـنـهــم بصورة خاصة ، ويعود ذلك إلى كونه من الدعاة النادرين الذين نشروا المنهج السلفي فــي سائر أنحاء العالم بوساطة مجلته المنار ،.. ويقول أيضاً : فإذا كـان مـن الحـق أن يعـترف أهل الفضل بالفضل ، لذوي الفضل ، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه

الكلمة ، ليطلع عليها من بلغته ، فإنني بفضل الله عز وجل ، بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً يعود الفضل الأول في ذلك إلى السـيـد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته المنار التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم "(4).

3 - أسندت رئاسة تحرير المنار بعد توقف دام ثلاث سنوات إلى الشيخ حسن البنا رحمه الله ، ويقول الأستاذ محمود عبد الحليم: " لم يكن الشيخ حسن البنـا غريبـاً على أسـرة الشيخ رشيد فقد كان على صلة بالشيخ منذ كان طالباً بدار العلوم وكانت دار مجلة المنـار ملتقاه بأكثر من التقى بهم من رجالات الحركة الإسلامية في ذلك العهد ، واتخذت أكثر القرارات في مواجهة المؤامرات ضد الإسلام في هذه الدار... وظل الأستاذ حسن البنا على اتصال بالشيخ رشيد بعد قيام دعوة الإخوان ، وكان يستشيره في كثير من الأمور "(5).

وكتب الأستاذ البنا يقول : " وقد عز على الإخوان أن يخبو ضوء هـذا الـســراج الـمـشرق بالعلم والمعرفة من اقتباس الإسلام الحنيف ، فاعتزموا أن يتعاونوا مع ورثة السيـد رحمـه الله على إصدار المنار من جديد ، وقد تم الاتفاق على ذلك وصدر العدد الخامس من السنة الخامسة والثلاثين في غرة جمادى الآخر سنة 1358 الموافق 18 يوليو سـنــة 1939: أي قبل نشوب الحرب العالمية الثانية بعدة أشهر ، وتلاه خمسة أعداد أخرى تمت بها السنة الخامسة والثلاثون من المجلة.. ".

ومما كتبه شيخ الجامع الأزهر محمد مصطفى المراغى في افتتاحية العدد الخامس :

"والآن وقد علمت أن الأستاذ حسن البنا يريد أن يبعث المنار ويعيد سيـرتـه الأولى فسرني هذا فإن الأستاذ البنا رجل مسلم غيور على دينه ، يفهم الوسط الذي يعيش فيه ، ويعرف مواع الداء في جسم الأمة الإسلامية ويفقه أسرار الإسلام ، وقد اتصل بالناس.اتصالاً وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالإصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة التـي كـان يرضاها سلف هذه الأمة ، وبعد فإني أرجو الأستاذ البنا أن يسير على سيرة السيـد

رشيـد رضا ، وأن يلازمه التوفيق كما صاحب السيد رشيد رضا ، والله هو المـعيـن ، عليه نتوكل وبه نستعين"(6).

4 - تعتبر جمعية العلماء في الجزائر ، امتداداً لدعوة رشيد رضـا في مصـر وبـلاد الشـام ، فرئيس الجمعية ونائبها - في عهد ابن باديس - البشير الإبراهيمي ، قال : إن جمـعيـة العلماء مدينة بالكثير لرشيد رضا ومجلته المنار ، وكان قد التقى به في دمشق خلال إقامته فيها (1916-1920) (7)... ويستعيد الإبراهيمي ذكرياته مع ابن باديس فيقول :

" ولا أنسى مجلساً كنا فيه على ربوة من جبل قاسيون في زيـارة مـن زياراته لي ، وكنـا في حالة حزن لموت الشيخ (رشيد رضا) قبل أسبـوع مـن ذلك اليوم ، فذكرنـا تفسـير المنـار ، وأسفنا لانقطاعه بموت صاحبه فقلت له. ليس لإكماله إلا أنت ، فقال لي : ليس لإكماله إلا أنت ، فقلت له : حتى يكون لي علم رشيد ، وسعة رشيد ، ومكتبـة رشيـد ، ومكاتب القاهرة المفتوحة في وجه رشيد. فقال لي واثقاًمؤكداً : إننا لو تعاونا وتفرغنا للعمل لأخرجنا للأمة تفسيراً يغطى على التفاسير من غير احتياج إلى ما ذكرت " (8).

ومن خلال رسائله الشخصـية التي كان يرسلهـا لصديقه شكيب أرسلان ، والتـي جمـعها الأخير في كتـاب أسماه " الـسيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة " نعلم متانة الروابط التي تربط رشيد رضا مع علماء وقادة المغرب العربي كله.

5 -تصدى رشيد رضا للدعـاية المنـاوئة لعـلمـاء نجد ، وكـان يطلق عليـهـم في رسائله إلى شكيب أرسلان الوهابية ، وعندما انتشرت الأراجيف ضدهم بعد افتتاح الطائف وزع ألوفاً من رسالة " الهدية السنية والتحفة النجدية" ونـشر مـقالات في الدفاع عنـهـم والـرد على خصومهم ، وقد قال له شيخ الأزهر أمام ملأمن العلماء :

"جزاك الله خيـراً بما أزلت عن الناس من الغمة في أمر الوهابية " (9). واستمـرت صـلات رشيد رضا مع علماء نجد وزعمائها إلى أن لقى وجه ربه ولقد كانت موتته بينهم.. وكانت له مثل هذه الصلات مع السلفيين في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

6 - وعندما أصدر علي عبد الرازق كتابه "الإسلام وأصول الحكم" الذي تحمس له العلمانيون أشد التحمس ، كان الكاتب يرد في بعض ما كتبه على رشيد رضا في كتابه "الخلافة أو الإمامة العظمى" الذي نشره في المنار قبل إلغاء أتاتورك للخلافة ، وبيت القصيد أن العلمانيين كان يمثلهم علي عبد الرازق والإسلاميين كان يمثلهم رشيد رضا.

7 - بعد وفاته أقيمت له حفلات تأبين (10) في كل من مصر ، وتونس ، وبغداد ، ودمشق ، وتبارى عدد من علماء الأمة وزعمائها في هذه البلدان في إلقاء الكلمات التي عددوا فيها مآثر الفقيد.. وفي هذا كله دليل على علو مكانته ، وتقدير الناس لدوره القيادي الذي استمر حوالي أربعين سنة.

ولهذا ففي حديثنا عن المجددين المعاصرين بدأنا برشيد رضا ، لأن الذين سنذكرهم استفادوا منه ، ولأنه كان ملتزماً بمنهج أهل السنة ومن أراد العودة إلى مؤلفاته فعليه أن يتذكر غلطاته التي أشرنا إليها "مآخذنا عليه" ونسأل الله أن يغفر له ويرحمه.

الهوامش :

1 - حاضر العالم الإسلامي : المجلد الأول ، الجزء الأول ،؟284 والسيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة تأليف شكيب أرسلان ، ص 15 ، مطبعة ابن زيدون بدمشق .

2 - انظر كتاب عبقرية الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، لمؤلفه عباس محمود العقاد ، ص 190 ، مكتبة النهضة بمصر.

3- أشار الشيخ ناصر الألباني إلى ذلك ، انظر حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه ص1/400- 405، الدار السلفية ، الكويت ، وللشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله رسالة في الرد على رشيد رضا ، اسمها الروضة الندية في الرد على من أجاز المعاملات الربوية وهي رد على أحمد محمد محجوب وفتوى الربا والمعاملات في الإسلام " لرشيد رضا ".

4 - حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه : 1 / 400 - ، وذكر الشيخ ناصر في المصدر نفسه بعض أخطاء رشيد رضا.

5 - انظر كتاب : الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ1/ 246. لمؤلفه محمود عبد الحليم.
6 - مذكرات الدعوة.والداعية ، حسن البنا ، ص253
7 - سجل مؤتمر جمعية العلماء ، ص 37 عن كتاب جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، د. أحمد الخطيب ، ص 149.
8 - مقدمة تفسير ابن باديس ، 26 ، نشر دار الفكر.
9 - السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ، شكيب أرسلان ، ص 366 الناشر مطبعة ابن زيدون بدمشق.
10- حفلات التأبين ليس لها أصل شرعي وإنما نذكرها لبيان مكانة رشيد رضا بين صفوف الدعاة والعلماء.

زيادات أبي الحسن القطان على سنن ابن ماجه

د. مسفر بن غرم الله الدميني

إن الـحـمـد لله نحـمـده ونسـتـعـيـنه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد.

فقد حفظ الله لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً ، ومن مظاهر ذلك الحفظ ما قام به علماء الأمة مـن السـلـف الصـالـح - حيث اعتنوا بحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حفظاً وتدويناً ونشراً له وتعـليـمـاً ، فـمـنـهم مـن اعتنـى بـالصحيح فأفرده - كالبخاري ومسلم - ومنهم من ضم إليهما دونه - كأصحاب السنن والمسانيد - ومن هؤلاء الأئمة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه ، مصنف كتاب"السنن " الذي عده العلماء رابع السنن الأربع وسادس الكتب الستة.

وقد روى عنه كتاب السنن هذا عدد من العلماء منهم :
- أبو الحسن القطان.
-وسليمان بن يزيد القزويني.

-وأبو جعفر محمد بن عيسى المطوعي الأبهري.
ويبدو أن الروايات غير رواية " أبي الحسن " قد انقطعت ، فلـم يـبـق متنها سـوى رواية أبي الحسن القطان هذه ، وهي التي اعتمدها الأستـاذ محمد فؤاد عبد الباقي عنـد طبعـه وترقيمه للكتاب ، واعتمدها الدكتور محمد مـصطفى الأعظمي عند طبعـه وفهـرسته أيضـاً للسنن.
وأبو الحسن هو: علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القزويني ، القطان (254 - 345هـ) أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ، فقد جاء في ترجمته أنه كان يحفظ مائة ألف حديث ، وقال عنـه الـذهبي. الإمـام الحافـظ الـقدوة شيخ الإسلام... عالم قزوين.. جمع وصنف وتفنن في العلوم وثابر على القرب... ".
ولما كان رحمه الله تعالى في هذه المنزلة العالية من العلم والحفظ ، وكان ممن سمع من أبي عبد الله بن ماجه سننه ، ومن طريقه - اليوم فقط -يتصل الإسناد؛ فإنه عند روايته سنن ابن ماجه لطلابه ربما كان عنده للحديث الـذي يـرويـه لهم من السنن إسناد آخر عال من غير طريق ابن ماجه يلتقي معه في شيخه أو من دونـه ، فـتراه يسـوق إسنـاده العالي عقب روايته لحديث ابن ماجه ، وهنا يروي الراوي عنه تلك الزيادات مضمـومة إلى أحـاديث السنن نفسها ، وهذا منه - رحمه الله تعالى - يشبه عمل أصحاب المستخرجات ، وربما زاد حديثاً مستقلاً بإسناده ومتنه - وهذا قليل -بلفظ حديث ابن ماجه أو بنحوه.
ويجد المطالـع للسـنن تلك الـزيـادات بنوعيها مصدرة بقوله : قال أبو الحسن ، أو : قال القطان ، أو قال أبو الحسن بن سلمة ، أو : قال أبو الحسن القطان.
والذي دفعني إلى كتابة هذه الأسطـر مـا صنعه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، والدكتور محمد مصطفى الأعظمي عند طـبـع كـل منـهـمـا للكتـاب ، فـأمـا الأول منهمـا فقد جعـل للأحاديث التي ساقها أبو الحسن بن سلمة بأسانيدها ومتونها أرقاماً مسلسلة مع أحاديث الـسـنـن ، فيحسبهـا النـاظـر مـن أحاديث سنـن ابـن مـاجه جاءت في صورة التعليق ، أما الأحاديث التي ساق أبو الحسن أسانيدها وأحال على أحاديث ابن ماجه المتقدمة

لها في متونها فلم يجعل لها أرقاماً مستقلة مسلسلة ، بل ذكرها عقب أحاديث السنن ، لكنه بدأ بكل زيادة سطراً جديداً.
أما الدكتور الأعظمي فجعل لكل زيادة- سواء تحمل إسنـاداً ومـتنـاً مـعـاً ، أو إسناداً مع الإحالة على متن ابن ماجه -رقماً مسلسلاً مع أحاديث السنن دون تفريق في نوع الحرف أو إشارة في الحاشية ، ولم يشر إلى ذلك إلا إشارة عابرة هي قوله في المقدمة :
"... وعدد أحاديثه أربعة الآف وثلاثمائة وسبعـة وتسعـون حديثـاً بما فيهـا مـن زيـادات القطان. ". وعملهما هذا - غفر الله لهما - يوهم بعض طلاب العلم أن الجميع من سنن ابن مـاجه ، وأن تلك الزيادات من معـلقـات ابن ماجه عن أبي الحسن القطان ، بينمـا الأمـر خلاف ذلك ، فـأبـو الحسن القطـان تلميذ ابن ماجه ، وراوية سننه وليس شيخه ، وتلك الأحاديث الواردة في صورة التعليق من زيادات أبي الحسن القطان على كتاب شيخه ابن ماجه ، ثم إنها ليست معلقة بل مـسندة له ، فربمـا التقى مـع شيخه أثناء الإسناد وربما استقل بحديث تام بإسناده ومتنه.
ولما كانت زيادات أبي الحسن القطان هذه مدرجة مع أحاديث سنـن ابـن مـاجـه - كمـا قدمنا-بل إنها قد تأخذ رقماً مسلسلاً مع تلك الأحاديث ، مما يوهم بـعـض طلاب العـلـم أنها من السنن لذلك رأيت أن أفردها بالذكر ليتنبه إليها من لا علم له بها ، ولتكون عند العارف بها مجموعة مستقلة ، مرتبة حسب ورودها في السنن ، وقد سلكت في إيراد هذه الزيادات حال كل نوع منها ، فإن كانت الزيادة حديثاً كاملاً بإسناده ومتنه اكتفيت بنقله تامـاً ، وإن كانت الزيـادة كالحديث المستخرج - بحيث يلتقي أبو الحسـن بـن سلمة مـع شيـخـه ابـن ماجه أثناء الإسناد مع علو بدرجة أو أكثر - ثم يحيل على المتن الذي ذكره ابن ماجه قائلاً : بنحوه ، أو. مثله ، فإني أنقل أولاً حديث ابن ماجه بإسناده ومتنه ثم أتبعه زيادة أبي الحسن ، وذلك ليعرف القارئ موضع الالتقاء مع شيخه ، وليعرف أيضاً متن ابن ماجه الذي أحال عليه ، ولكني سأكتفي -في هذا المقال - بإيراد الأحاديث التي جعل لها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي أرقاماً مسلسلة مع أحاديث سنن ابن ماجه

، وذلك لأنها زيادات مستقلة مشتملة على إسناد الحديث ومتنه ، ثم أذكر أرقام الأحاديث التي استخـرج عـليـهـا أبـو الحسن زيـاداتـه تـلك ، علمـاً بأن في النسخة المخطوطة التي اعتمدها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي من الأحاديث والزيادات ما ليس في النسخة التي اعتمدها الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، وكذلك العكس ، وسيجد القارئ قائمة تحوي أرقام الأحاديث المشتملة على الزيادات مقارنة ليسهل الرجوع إليها، ولتعرف الزيادات في كل طبعة.

أولاً : الأحاديث الزائدة :

321 -قال أبـو الـحسن بـن سلمة : وحدثنـاه أبو سعد عمير بـن مـرداس الـدونقي ، ثنـا عبدالرحمـن بـن إبراهيم أبـو يحيى البصري ، ثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر أنه سمع أبـا سعيـد الخـدري يقـول : إن رسـول الله-صلى الله عليه وسلم- نهاني أن أشرب قائماً ، وأن أبول مستقبل القبلة (1:116).

451 -قال القطان : حدثنا أبو حاتم ، ثنـا عبد المـؤمن بـن علي ، ثنـا عـبد السلام بـن حرب ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:»ويل للأعقاب من النار«(1:154).

596 -قال أبو الحسن : وثنا أبو حاتم ، ثنا هشام بن عمار ، ثنا إسماعيل بن عياش ،ثنا موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال رسول الله -صـلى الله عليـه وسـلـم: »"لا يقرأ الجنب والحائض شيئاً من القرآن"« (1: 196).

ثانياً :

أرقام الأحاديث التي استخرج عليها أبو الحسن القطان زياداته على السنن ، وذلك بذكر رقم الحديث في طبعة عبد الباقي والرقم الذي يقابله في طبعة الأعظمى :

رقم الحديث المشتمل على الزيادة في طبعة عبد الباقي	رقم الحديث الذي يقابله في طبعة الأعظمي
22	00

73	84
213	00
217	244
218	244
227	252
232	256
00	257
256	261
257	00
282	284
299	299
301	300
325	321
328	323
00	324
332	326
355	346
360	350
367	356
370	358
387	374
403	388
416	400
419	402
431	413
464	446
00	451
480	262
488	469
540	518
00	525

596	00
657	624
675	00
1303	1296

وقد جعلت هذه الزيادات بنصوصها ومواضعها مع ترجمة لابن ماجه وأبي الحسن القطان في رسـالة لطيفة أسميتها " زيادات أبي الحسن القطان على سنـن ابـن مـاجـه " أرجـو أن تطبع قريباً. وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم.

خواطر في الدعوة

ولكن أصحابه لم يقـوموا به!

محمد العبدة

يـروى عـن الإمام الشافعي أنه قال في (الليث بن سعد) : "هو أفقه من مالك ولكن أصحابه لم يـقـوموا به "ومـقصـود الشـافـعـي -رحمه الله - أن أصحـاب مالك نشطوا في نشر فقهه وعلمه ، وسُمع به في الآفاق ، ولم ينشط تلامذة الإمام الليث بن سعد لمثل ذلك. ونحن إذا استبعـدنـا عـامل الحسد والمنافسة من معاصري هذا الإمام فقد يـكـون السـبب في ذلك هـو غفلتهم عن تقديـر مكانـة شيخهم أو إهمـالاً وضعفاً منهم في نشر آرائه العلمية ، وقد يكون للحسد دور أحياناً في إهـمـال الـرجـال وعـدم الاستفادة منهم ، ولكن يبقى مرض الإهمال والغفلـة مـن الأمراض المستحكمة خاصة إذا غلف بغلـاف مـن سـوء الفهـم للنصـوص التـي وردت بذم الـمداحيـن ، ولا يـذكـرون النصـوص الأخرى الـتي تشعر المسلمين وتنبههم إلى أهمية بعض الصحابة ومكانتهم العلمية أو القيادية حتى لا يـقـع الإهمـال عـن حسن نية.
إن الإعلاء من شأن أهل الحق عدا عن أن فيه إزراء وغضاً من مكانة أهل الباطل ، حتى لا يرفع لهم ذكر ولا يقتدى بهم ، فهو كذلك مما يشجع الناس على الالتفاف والاستفادة من الدعاة والعلماء الذين ينتصبون أمثلة للمنهج السوي ، كما كانوا يقولون.

" إذا رأيت أحداً يكـره مالك بن أنس فاعلم أنه مبتدع ".. والجيل الذي لا يستفيد مـن الذين سبقوه ويـبـني علىمـا بنـوا ، ولا يقدر العلماء والنابهين ، سيكون مآل أمره إلى الفشل لأنه سيعود في كل مرة إلى نقطـة الصفـر ، ويعـود إلى الأخطاء ذاتهـا ، وتتكرر تجارب الفشل والنجاح ، وقد تبتلى الأمة أحياناً بأمثـال الحجاج بن يوسف الـذي آذى الصحابي الجليل أنس بن مالك فكتب إليه الخليفة عبد الملك مـوبخاً : " والله لـو أن اليهود والنصارى رأت رجلاً يخدم عزير بن عزرا ، وعيسى بن مريم لعظمته وشرفتـه وكـرامتـه ، بـل لـو رأوا من خدم حمار العزير أو خدم حواري المسيح لعظموه وأكرموه ".
وعندما أنكر الشيخ أبو محمد العز بن عبد السلام على ملك دمشق ما عزم عليه من الصلح مع الصليبيين ، أخذ وسجن ، ثم حمله الملك معه عندما ذهب لتوقيع هذا الصلح، ووضعه في خيمة انفرادية ، وكأنه أراد أن يدلل على (حسن النوايا) فقال للمفاوضين : هذا الشيخ أنكـر عـلي الصلـح مـعـكـم فـكـان جوابهـم:لو عندنا مثل هذا الشيخ لغسلنا قدميه وشربنا غسالتهما.
ونحن لا نطلب الغلو في الرجال كما يفعل النصارى ، فهذا من أبعد الأشياء عن الإسلام، ولكن لا يجوز لنا أن نغمطهم حقهم ، أو أن نطمس ذكرهم بكل ما أوتينا من الوسائل وعن غفلة وحسن نية أحياناً.
ونحن نرى بأعيننا مصداق ما قاله عبد الملك بن مروان وما يفعله الأوربيون الآن بعظمائهم أو بكل من أسهم في نهضتهم ، ولا ينسون أحداً منهم، ولو كان عمله قليلاً، وهذا يذكرني بإهمال المجلات والصحف عندنا لذكر كبار علمائنا ، فعندما توفي الشيـخ محـمـد الأميـن الشنقيطي لم تذكره إلا صحيفة واحدة ، وفي زاوية صغيرة من صفحـاتهـا ، وهؤلاء العلماء والدعاة لا يضيرهم عند الله أن يذكرهـم الناس أو لا يذكرونهـم ، ولكن ألـيس مـن حقهـم علينا أن نستفيد منهم ، وإذا لم نفعل هذا وبخسنا الناس أشياءهم ، أليس في ذلك ظلم لنا ولهم؟!..

البدعة وأثرها في

الانحراف في الاعتقاد

الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع

الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله ، وكمـا ينبغي لكمـال وجهـه ، والصلاة عـلـى رسوله الهادي إلى صراطه المستقيم بالحكمة والبصيرة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابـه ومـن اقتفى أثره واستن بسنته وسلك سبيله إلى يوم الدين ، وبعد.

إن الله بفضله ورحمته وشمـول رعـايتـه خـلقـه قضـى بإنقاذ عبـاده مـن مكـايـد الشيطـان ومخططاته ، فأرسل رسولـه محمداً -صلى الله عليه وسلم- على فترة من الرسل وبعد أن تحولت الديانات السماوية بفعـل الأحبـار والرهـبان إلى ديـانـات ممسـوخة يمجـها العقل وتأباها الفطر السليمة سواءً ما كان منها متعلقاً بعلاقة العبد بربه أو ما كان متعلقاً بعلاقـة العباد مع بعضهم ، فجـاء -صلى الله عليه وسلم- رحمة للعالمين بشيراً ونذيـراً وسـراجـاً منيراً ورسولاً عاماً للثقلين الـجن والإنـس ، مـؤيداً بكتـاب كريم من رب رحيم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيه العظة والعبرة ، وفـيـه الـحكمـة والـموعظة ، وفيه الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، وفيه الـتشريع الضامن لأحسن علاقـة بين الـعبـد وبين ربه، وبين العباد فيما بينهم، ضمن لهم الحفاظ على كامل الحقوق الأساسية - الدين والنفس والعقل والمال والعرض - وعلى كامل مـا تـفرع عنهـا مما يعود عليها بالكمال ورفع الحرج.

جاء -صلى الله عليه وسلم-كماوصفه ربه: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُـمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَـا عَنِتُّمْ حَرِيـصٌ عَلَيْكـُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)) [التـوبـة:128]، فبـلـغ -صلى الله عليـه وسلم- رسـالـة ربه وأمانة من أرسله ، ونصح -صلى الله عليه وسلم- للأمة النصح الكامل ،مـا مـن خير إلا دل الأمـة عليه ومـا مـن شر إلا حذرها منه ، فانقاد لدعوته -صلى الله عليه وسلم- صفوة مختارة مـن عباد الله ، آمـنوا بالله ، وأخلـصوا دينهم لله وجاهدوا مع رسول الله حق الجهـاد مضحين في سبيـل الله بأموالهـم وديارهـم وأهليهـم ، حتى دخـل الناس في دين الله أفواجاً ، وحطم -صلى الله عليه وسلم- الأصنام التي حول الكعبة وهو

يقول ((وقُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً))
[الإسراء:81].
وكان -صلى الله عليه وسلم- مـدركـاً أن الشيطـان حريص على نقض ما أبرمه -صلى الله عليه وسلم- من وحدة إسلامية ترجع في حياتهـا وفي تكييف علاقـاتهـا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ، وأن مداخل الشيطان على عباد الله مختلفة ومتنوعـة ، فمـن كان إيمانه ضعيفاً انقض عليه بخيله ورجله في التشكيـك وطرح الشبهـات في أصول الإيمـان وفـروعـه حتى يرتد عن دين الله بالكفر والإلحـاد والـزندقة. وإن كان إيمانه قوياً لا مدخل عليه في التشكيك والزعزعة دخل عليه من بـاب الابتداع ومن باب الغلو في الدين وأتباعه كمـا هي حاله لعنه الله مع الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى حيث انقادوا لوساوس الشيـطان ومكايده وضلالالته ، فحرفوا كتب الله ، وغيروا مقتضيات شرعه ، حتى صارت ديانـات ممسوخة ليس لها عند الله القبول ، قال تعالى:((ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)) لقد كـان رسـول الله -صلى الله عليـه وسلـم- مدركـاً طرق غواية الشيطان وإضلاله فركز -صلى الله عليه وسلم- لحماية هذا الدين على أمرين : أحدهما : التحذير من الغلو والإفراط في الدين ومجاوزة الحد في المدح والثناء إذا كان ذلك لغير الله ، ففي الصحيحين عن عمـر بن الخطـاب رضي الله عنـه قـال : إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال : »لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله«.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال : »إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو« رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه.
ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- : »هلك المتنطعون« قالها ثلاثاً. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال : »أولئك إذا مات فيهم الـرجل الصـالـح أو العبد

الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند الله«.
ولهما عنها قالت : لما نزل برسول الله-صلى الله عليه وسلم- طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفهـا فقـال وهو كذلك: »لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد« - يحذر مـا صنعـوا - ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.
ولمسلـم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنـه قـال : سمعت رسـول الله-صلى الله عليـه وسلم-يقول :»ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك«.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- :ما شاء الله وشئت ، قال. »أجعلتني لله نداً قل ما شاء الله وحده«. رواه النسائى وابن ماجه.
ولأبي داود عن جبير بـن مطعـم رضي الله عنـه قـال : جـاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- :»سبحان الله سبحـان الله ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجـوه أصحـابـه ثـم قـال : ويحـك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع بالله على أحد«.
ولأبي داود بسند جيد عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : انطلقت مع وفد بني عامر إلى رسـول الله-صلى الله عليـه وسلـم-فقلنـا : أنت سيدنـا. فقال : »السيد الله تبارك وتعالى«. فقلنا : وأفضلنـا فضـلاً وأعظمنـا طولاً. فقـال : »قـولـوا بقـولكـم أو بعـض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان«.
فهذه الأحاديث وغيرها من عشرات الأحاديث ومئات أمـثالهـا كلهـا تؤكد حـرص رسول الله-صلى الله عليه وسلـم- على سلامة أمـته مـن وسـاوس الشيطـان وخـواطـره وإيحاءاته وهمزاته ، وتحذر هذه الأمة أن يدخل الشيطان عليها مع مداخله على من سبقها من الأمم من يهودية ونصرانية وغيرهما ، فإن أكبر باب

للشيطـان للـضلالة والإضلال هو بـاب الغلو والابتداع. فلقد نهى -صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن يتجاوزوا الحد في إطرائه ومدحه وتعظيمه ، وحمى جناب التوحيد من أن تدنس مقتضيـاتـه أو تطمس معالمـه ، وأوضـح في أكثر مـن مقـام أن ضلال مـن قـبلنـا من اليهـود والنصارى وغيرهـم كـان بسبب غلـوهـم في أنبيائهـم وصالحيهـم حيث كـانـوا يتخـذون المساجد على قبورهم ، فيعظمونها على سبيل العبادة ، وكانوا بذلك شرار الخلق عند الله ، وكـانـوا بذلك أبـعـد الخلق عن الله، وكانوا بذلك أولياء الشيطان وحزبه. ((أَلا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ)).

ومع هذا الحرص الشديد من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وتنـاقـل علماء السنة الآثار الواردة في ذلك عنه -صلى الله عليه وسلم- وإشاعتها بين عباد الله إلا أن الشيطـان كـان دائب الحركة في سبيل الغواية والضلال والإضلال ، وقد وجد له من الصوفية والمتصوفة، من اتخذهم له أولياء واتخذوه لهم وليًّا فغلوا في دين الله ، وشرعوا من الدين مالم يأذن به الله ، فاعتقدوا النفع والضر عند غير الله ، والـمنع والعطـاء لدى غير الله ، لدى مـشايخ الطرق وأدعياء التصوف والدجل والشعوذة أحياء وأمواتاً ، وصرفوا للمخلوق مما هو محض حق الخالق حقوقاً لا تصح نسبتها إلا لله فهذا **البوصيري** يقول :

يا أكرم الخلق ما لي من أوذ به سواك عند حلول الحادث العم
فـإن مـن جـودك الدنيا وضرتها ومـن علـومـك علم اللوح والقلم

وهذا البرعي يقول :

يا سيدي يا رسول الله يا أملي يا مـوئـلي يـا مـلاذ يــوم تلقاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه عندي وإن بعدت داري وأوطاني

وهذا البكري يقول :

وناده إن أزمـة أنـشـبــت ظفارها واستحكم المعضل
عجل بأذهاب الذي اشتكى فإن توقفت فمن أسـأل؟!

وهذا رابع يقول :

يا سـيدي يا صفي الدين يا سـندي يا عمدتي بل وا ذخري ومفتخري

فإنـني عـبـدك الـراجـي بـودك مــا أمـلـته يـا صـفي الـسـادة الـغــرر
وبـالرغم من حركات الشيطان في الغواية والإضلال ، وقـدرتـه على اصطفـاء مجموعة مـن عباد الله ليكـونـوا أعـواناً في الضلال والإضلال ؛ إلا أن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كـره الكافرون ، فلقد وعد الله تعالى بحفظ كتابه من التحريف والتغيير والتبديل ، وتم وعد الله فلقـد مضى على نزوله أكثر مـن أربعة عشر قرنـاً وهـو محفوظ بكل وسـائـل الحفظ سراجـاً منيراً ومحجة بيضـاء ، كـمـا أن الله تعالى قيـض لسنة رسولـه (ص) رجـالاً أتقيـاء أذكيـاء صالحين نقلـوهـا إلى الأمـة الإسلامية نقية صافية وبذلك تحقق قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك«؟ وقوله: »تركت فيكم ما إن تمسكتم بـه لن تضلوا ، كتاب الله وسنة رسوله« الأمر الثاني من الأمرين اللذين ركز عليهما -صلى الله عليه سلم- في حماية الدين : الابتداع في الدين.
لقد عرَّف العلماء البدعة بأنها طريقة محدثة في الدين يضاهي بها أحد مقتضياته ، إلا أن هذه المضاهاة تنطلق مـن معقول بشـري محدود ليس لـه القدرة على استطلاع حكمـة الله في تشريعه ، ولا علم الله بما تصلح به أمور عباده ، يأتي العقل البشري فيرى حسناً ما ليس بالحسن ويظن نقصاً فـيمـا فيه الكمـال ، فيقـول اجتهـاداً أو انسياقـاً وراء هـوى أو إغـواء شيطان ما ليس في الدين في شيء مما هو محض الإحداث والابتداع.
لقد كان -صلى الله عليه وسلم- حريصاً كل الحرص على تجنيب أمته شر الابتداع فأكثر من ذم الابتداع وحض الأمـة على التمسك بسنته -صلى الله عليه وسلـم- فقـال : »عليكـم بسنتي وسنـة الخلفـاء الراشدين المهديين تمسكـوا بهـا وعضوا عليها بالـنواجـذ ، وإيـاكـم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار«.
وقال : »من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد« وفي رواية : »من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهـو رد«- وقـال : »إن

أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي رسول الله ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة«.
ولم يكـن منـه -صلى الله عليه وسلـم- إلا أن التشريـع مكتمل فمـا مـن خير إلا ودل الأمة عليـه ، ومـا مـن شـر إلا حذرهـا مـنه ، وقد حكى الله سبحانـه وتعالى كمال الدين فقـال : ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً)) فلـقد وقـف -صلى الله عليه وسلم- يوم عرفة في حجة الوداع ومعه جمع كبير من أصحابه ، فذكرهم ووعظهـم وبين لهـم مـا على العبد من حقوق لله وحقوق لعباده ، وكـان -صلـى الله عـليه وسلم- في كل أمر يقوله لهم : »ألا هـل بلغـت اللـهـم فـاشهد«؟ ثـم انتقـل -صلى الله عليـه وسلم- إلى الرفيق الأعلى بعد أن بلـغ الـرسالة أتم بلاغ ، وأدى الأمانة أتم أداء. ، ونصح للأمة النصح البالغ ، وبين لهم حبائل الشيطان ووساوسه وخواطره ومكائده ومداخله على العباد.
لا شك أن الابتداع الطريق القصير إلى تشويه الدين وطمس معـالـم الإشـراق فيه ، والتحكم على الله وعلى رسوله ، والاشتراك مع الله تبارك وتعالى في التشريع بما لم يأذن به الله ، وفضلاً عن هذا الأثر السيء للابتداع فإنه يستلزم أموراً مهينة أهمها ما يلي :
أولاً : الـقـول بلسـان المقال أو بلسان الحال : أن الدين ناقص وأن هناك جوانب تكميليـة ينبغي الأخذ بها تكملة للدين ، وفي هذا رد قوله تعالى. ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيـتُ لَكـُمُ الإسْلامَ دِينـاً)) كمـا أن فيـه تكذيباً لقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: »تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارهـا لا يزيغ عنها إلا هالك«؟ فإن من يبتـدع يعترف أن لا سند لبدعته مـن كتاب ولا سنة، ولكنه يـدعي أنهـا عمـل صالح. فمـا صلاح عمل لم يأمر به الله ولم يفعله رسوله الله؟! ومـا صلاح عمل يراد به إكمال ما أكمله الله على أتم وجه ورضيه؟! ولكنها وساوس الشيطان وهمزاته.
ثانياً : إن الابتداع يستلـزم القدح في إبلاغ رسول الله رسالة ربه ، فلقد أرسل الله رسـولـه بالهدى ودين الحق ، وأمـره بإبلاغ

الرسالة ، قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَـا أُنزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وإن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)) فبلغها -صلى الله عليه وسلم- أتم بلاغ. فإذا كان المبتدع يـرى في بدعتـه الخير والعمـل الصالح ، ويعترف أن لا سنـد لبدعته مـن كتاب ولا سنة ولكنهـا حسنة في نفسهـا - حسب زعمـه - فـإن هذا يعني أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حاشاه وكلا - بين أمرين : إما أن يكـون جاهلاً بمـا ينفع الأمة وأن هناك جملة من جوانب الخير لا يعلمها فجـاء مـعاصرو القـرون المتأخرة فأخرجوهـا للأمـة وأضافوها إلى الدين ، أو أن يكون -صلى الله عليه وسلم- يعلم حسن هذه الأعمال المبتدعة ، إلا أنه كتمها عـن الأمـة وهـذا يعني تخونه والقدح في أدائه رسالة ربه ، وكلا الأمـرين شر وقدح في شهـادة أن محمداً رسولـه ، ورسـول الله-صلى الله عليه وسلـم- مـبرأ عنهمـا معاً.

ثالثاً : إن في الابتداع مخالفة صريحة لأوامر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ، فإنه -صلى الله عليه وسلـم- أكـد ضـرورة التمسـك بسنتـه والابتعاد عـن الابتداع والإحـداث في الدين ، كما أكد أن الإحداث في الدين مردود ولا شك إن مخالفته -صلى الله عليه وسلم- مظنة الفتنة. قـال تعالى : ((فَلْيَحْذَرِ الَذِينَ يُخَالِفُـونَ عَنْ أَمْـرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))

ولقد فهم أصحـاب رسـول الله-صلى الله عليه وسلـم- وتابعـوهم هذا الفهم ، ففي الجامع لأبي بكر الخلال أن رجلاً جاء إلى مالك بن أنس فقال : من أين أحرم؟ قال : من الميقات الذي وقت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأحرم منه. فقال الـرجل : فـإن أحرمت مـن أبعد منه؟ فقال مالك : لا أرى ذلك. فقال الرجل :ما تكره مـن ذلك؟ قـال : أكـره عليـك الفتنة. قال : وأي فتنة من ازديـاد الخير؟ فقـال مـالك : فإن الله تعالى يقول : ((فَلْيَحْذَرِ الَذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))؟ وأي فتنة أكبر من أنك خصصت بفضل لم يخص به رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وفي رواية : وأي فتنة أعظم من أن ترى أن اختيارك لنفسك خير من اختيار الله واختيار رسوله؟!

لقد حرص أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلـم- على تبـليـغ الأمة سنة رسول الله من قول أو فعل أو تقرير ، وبالغوا في التحذير عما يخالفها من قول أو فعل مهما كان ذلك وعلى أي وجه يكون ، ولم يفرقوا في الإنكار بين ما ظاهره الحسن ومـا ظهـر سوءه ، فلـم يقولوا بتقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة ، بـل اعتبروا البدعة أمـراً منكراً وزوراً من القـول والعمل ، وقـولاً على الله بلا علم ، وتشريعـاً مـن الـدين بما لم يأذن به الله ، حجتهم في ذلك الإيمان بـأن الله أكمل دينه وأن رسوله -صلى الله عليه وسلم- بلغ رسالة ربه وأدى أمـانتـه وبيـن لعبـاد الله خصائص دينهم ومقتضيات أعمـالـهم وأن الأخذ بـالبدعـة يعنـي مناقضة ذلك الإيمـان بـاعتبـار أن البدعـة في ظـن مبتدعيها والآخذين بها إكمال نقص في الدين ، كما أن حجتهم كذلك الامتثال للانتهاء عـن الابتداع مطلقـاً مهمـا كـان وعلى أي سبيل يقع ، يستوي في ذلك حسنة وسيئة للعموم في نفي الـبدع والابتداع ، فقـد حـذر -صلى الله عليه وسلم- عن الابتداع بلفظ العموم فقال : »من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد«؟ وبلفظ الاختصاص والحصر فقال :»إياكم ومحدثات الأمـور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة«.

ومـن حججهـم رحمهـم الله في رد الابتداع إدراك أن الابتداع بـاب الشيطـان إلى الـغوايـة والإضـلال والضلال ، فـمنه دخـل على الأمـم السابقة يضلهم ويمنيهم ويغويهم ويزين لهم أبواب الابتداع حتى غيروا كتب الله وحرفوهـا. وبـدلـوها فـأحلـوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله.

أدرك أصحاب رسول الله ذلك وكانوا حربًا على البدع والابتداع والإحـداث والمحدثات، وفيما يلي مجموعة من الآثار الواردة عن أصحاب رسول الله في محاربة البدعة.

فقد روى محمد بن وضاح القرطبي في كتاب الـبدع والـنهي عنها بإسنـاده فقال : بلغ ابن مسعود رضي الله عنه أن عمرو بن عتبة- في أصحاب لـه - بنـوا مـسجداً بظهـر الكوفة ، فأمر عبد الله بذلك المسجد فهدم ، ثم بلغـه أنهم يجتمعـون في ناحية مـن مسجد الكـوفـة يسبحون تسبيحاً معلوماً ، ويهللون ويكبرون ،

قـال : فلبس برنسًا ثم انطلق فجلس إليهم فلما عرف ما يفعلون رفع البرنس عن رأسه ثم قال : أنا أبو عبد الرحمن ، ثم قال : لقد فضلتم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- علماً أو لقد جئتم ببدعة ظلماً ، قال: فقال عمرو بـن عتبـة : واللهِ مـا فضلنا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- علمـاً ولا جئنـا ببدعة ظلماً، ولكننا قوم نذكر ربنا ، فقال : بلى والذي نفس ابن مسعود بيده لئن أخذتم آثار القوم لتسبقن سبقاً بعيداً ، ولئن حُرْتُم يميناً أو شمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً.

وذكر بإسناده عن بعض أصحاب عبد الله بـن مسعـود قـال : مـر عبد الله برجل يقص في المسجد على أصحـابـه وهو يقول : سبحوا عشراً ، وهللوا عشـراً ، فقـال عبد الله: إنكـم لأهدى من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أو أضل ، بل هذه ، بل هذه ، يعني : أضل.

وروى بإسناده عن أبـان بـن أبي عياش قـال : لقيت طلـق بن عبد الله بن كـرز الخزاعـي فقلت له : قوم من إخوانك من أهـل السنة والجماعة لا يطعنون على أحد مـن المسلميـن ، يجتمعـون فـي بيت هـذا يـومـاً وفـي بيت هـذا يـومـًا ، ويجتمعون يوم النيروز والمهرجان ويصومونهما ، فقال طلق : بدعة من أشد البدع والله لهـم أشد تعظيمـاً للنيروز والمهرجـان من غيرهما ثم استيقظ أنس بن مالك فوثبت إليه فسألته كمـا سألت طلقـاً فرد عليَّ كمـا رد علي طلق كأنما كانوا على ميعاد.

وروى بإسناده قال : ثوب المؤذن في المدينة في زمان مالك ، فأرسـل إليه مـالك فجاءه فقال له مالك :ما هذا الذي تفعل؟ قال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقومـوا. فقال له مالك. لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه ، قد كان رسول الله-صلى الله عليـه وسلم-بهذا البلد عشر سنين ، وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا ، فلا تحدث في بلدنا مالم يكن فيه. فكف المؤذن عن ذلك، وأقام زماناً ثـم إنه تنحنح في المنارة عند طلوع الفجـر فأرسل إليه مالك فقال :ما هذا الذي تفعل؟ قال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر. فقال : ألم أنهك لا تحدث عندنا مالم يكن؟! فقال : إنما نهيتني عن التثويب ، فقال له مالك : لا

تفعل. فكف أيضاً زماناً، ثم جعل يضرب الأبواب ، فأرسل مالك إليـه فقـال له : ما هذا الذي تفعل؟ فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر ، فقال له مالك: لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا مالم يكن فيه.

وقد ذكر الشاطبي رحمـه الله تفـسير التثويب الـذي نهى عنه مالك رحمه الله بـأن المؤذن كان إذا أذن فأبطأ النـاس قال بين الأذان والإقامـة : قد قامت الصلاة حي على الفلاح. وذكر الشاطبي في كتابه الاعتصام قال : وقال ابن حبيب أخبرني ابن الماجشون أنه سمع مالكاً يقول. من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-خان الدين لأن الله تعالى يقول : ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً)) وأختتم هذا البحث بمـا روى أبـو داود والترمذي عـن أبي نجيح العرباض بن سـاريـة رضي الله عـنه قـال : وعظنـا رسول الله-صلى الله عليـه وسلم- موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها الدموع فقلت: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : »أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اخـتلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنـة الخلفـاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة«.

قال الترمذي : حديث حسن صحيح.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكلمة بها كلام قد يؤم (*)

د. مصطفى السيد

الكلمة الطيبة ((كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبِّهَا)) وفي روضة النبوة وقد سئل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الفأل فقال: "الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم « البـخـاري 7/8 والكلم في مرضاة الله كالكلْم (الجرح) في سبيله ، كلاهما طريق مَهْيَعٌ إلى الجنة.

ولئن طوت المنون أولئك المتكلمين فلقد ظلت الأجيال المتعاقبة تبعث الحياة في الموروث من كلماتهم. وإذا كان شموخ الحضارة المادية المعاصرة قد قزم وحجَّم الآثار المادية للمدنيات الغابرة ، فإن هذا الشموخ قد سجـل تـراجـعـاً ملحوظاً في مجال الكلمة ، وظلت (روائع) الأقدمين في كل أمة قدوة المتأدبين وقبلة القائلين. ولم تكن الكلمة لتدخل متحف البيان أو لتلج معرض الجمال وهي عطل من مؤهلات البقاء أو غفل من طاقة الإشعاع. لم تكن كذلك في الماضي ، ولن تكون في الحاضر ، بل لقد كانت تأخذ من جهد قائلها كل مأخذ. روى العتبي (إخباري عباسي) قال: قيل لمعاوية: أسرع إليك الشيب. قال: كيف لا؟ ولا أعدم رجلاً من العرب قائماً على رأسي يلقح لي كلاماً يلزمنني جوابه ، فإن أصبت لم أحمد ، وإن أخطأت سارت به البرد- (جمع بريد) ابن عساكر16/375.

وأخرج أبو نعيم عن ثابت البناني قال :كان الحسن في مجلس ، فقيل لأبـي الـعلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير تكلم ،فقال:"أو هناك أنا ؟ ثم ذكر الكلام ومؤنته"(الحلية2/213).

وإذا كان أبو العلاء يتحاشى الكلمة مخافة ألا يكون من أهلها فلا يجمل بأهلها أن يكتموها ،وأن يظلوا محرمين بالصوم عن الكلام ، متلبسين بشعيرة الصمت حتى ولو وجدوا متكلماً.

قال العلامة الشنقيطي في معرض تعليقه على قوله تعالى : ((إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنسِياً)) "هذا النذر الذي نذرته ألا تكلـم اليـوم إنسيـاً كـان جائزاً في شريعتهم، أمـا في الشريعة التي جاءنا بها نبينا -صلى الله عـليـه وسلـم- فلا يجوز ذلك النـذر ولا يجـب الوفاء به لما روى البخاري في صحيحه عـن ابن عباس قال : بينا النبي يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقـوم ولا يقعـد ولا يستظل ولا يتكلـم ويصـوم. فقال النبى -صلى الله عليه وسلم- :»مروه فليتكلم وليستظل وليقعـد وليتـم صومه« (أضواء البيان 4 /267).

والكلام هـو الأصل ، والصمت طارئ أو عارض فهـو مـيزة الإنسـان (علمه البيان) وتركيز معناه وتكثيفه من فرائد سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- »أعطيت جوامع الكلم« والعبارة

في سياق التحدث عما خص به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »وجعل الله منيحة داود عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب«(البيان والتبيين 4/31) "وكـانـوا يـمـدحـون شــدة العارضة وقوة المنة وظهور الحجة" البيان والتبيين 1/176 ويحمد الصمت إن جاء الكـلام مبايناً للخير »فليقل خيراً أو ليصمت« أو إذا كان العبث محركه ، واللغو مادته ((والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)) ولقد قال عبد الملك بن مروان لمن أطال الكلام وقصر في الفائدة. يا هذا بكلامك مدح الصمت!

واستأذن مثل هذا النموذج في السكوت بعد كلمة طويلة في غير ما طائل فقال عبد الملك له: وهل تكلمت حتى تصمت؟!.

ترى كم من كاتب ومتكلم قد ينفعه أن يتأمل ملياً كلام عبد الملك. واليوم كما الأمس وكذا الغد ، ستظل الكلمة الحجر الأساسي في صرح الحضارة ، والمطلب الأول في بناء العقول التي إن غذيت بصائب الكلام أثمرت صالح العمل.

ولئن اغتصبت المنابر ، وعلاها علوج الألسنة ، ومنافقو الروح ، وتمكنوا من السيطرة على أكثر المواقع في الساحة الفكرية دعماً للظلم أو ملئاً للفراغ بالفراغ ، فـذلك وإن كـان مدعـاة للأسف ، فلن يقوى على البقاء ، بل ربما سقط قبل أن ينفق قائلوه.

لئن حصل ذلك كله -وهو حاصل - فإن مسئولية أصحاب الأقلام الشريفة تتأكد وتزداد في الذب عن قيم الحق والعدل ورفع المعاناة بكل صورها عن كل مأزوم ومكروب.

لقد فرضت الآثار العظيمة نفسها على ذاكرة التاريخ وشقت طريقهـا إلى البقـاء ، متحديـة كل طاقات الخصوم التي حاولت طمسها. ينطبق هذا على فرائد النصائح التي صبها علماء المسلمين في آذان الظالمين ، ومسامع الغافلين ، كما ينطبق على موسـوعـات العلـم والمعرفـة التي وصلت إلينا ، عابرة قروناً متطاولة من فجر التاريخ حتى يوم الناس هذا. إنها الكلمة الـتي أعطاهـا صاحبـهـا دمـه وحياتـه ، فـأعطته جـواز البقـاء ، لا يقهر الفناء إلا الكلمة والحجر والكلمة أطول عمراً من الحجر وأصلب على الزمن وأقدر على مغالبة الفناء.

وكـم مـن كلمات خرجت من القلوب لتصبح منهج عمل ، ودسـتـور حيـاة ، وتكـون نقطة تحول في سلوك كثير من الشخصيات.

وصدق الله القائل في فضل الكلمة الطيبة ((تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)).

نسأل الله أن يلزمنا كلمة التقوى وأن يجعلنا من أهلها.

الهوامش :

(*) شطر بيت من ألفية ابن مالك ، ومعنى يؤم : أي يقصد. أي كما أن الكلمة تدل على واحد الكلام فكذلك تدل على مجموعة كلمات تشكل معنى.

ضوابط العمل الصالح

جمال أحمد بشير

في توجه العبد المؤمن إلى ربه ، وفي سيره وانقطـاعـه إليه يحتاج إلى ما يضبط سلوكه ويزن أفعالـه حتى لا يحيد عن الطريق ولا يخطئ الجادة. لـذلك ذكـر سلفنـا الصالـح شـروطـاً وضوابط للعمل الصالح باستقراء نصوص الكتاب والسنة وبدون هذه الشروط والضوابط يكون العمل مـعـرضاً للخلل والنقـصـان؛ بـل والـرد على صاحبه فلا يجني مـن عمله إلا التعب والمشقة.

ونذكر فيما يلي أهم هذه الشروط :

الأول : الإخلاص لله عز وجل.

الثاني : متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

فلا بد من إخلاص النية لله في أي عمل يعمله العبد. قال تعالى : ((ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ))[الـبينة:5] ، وقـال -صـلـى الله عليه وسلـم- : »إنمـا الأعمـال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى« (1)؟ وقال -صلى الله عليه وسلم- : »قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ؛ من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه ؛ وهو كله للذي أشرك« (2).

ولا بد في إخلاص العمل مـن أن يكون هذا العمل ممـا شـرعه الله على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- يقـول تعـالـى :

((قـُلْ إن كُنـتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ))[آل عمران: 31] ويقول -صلى الله عليه وسلم- : »من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد« (3) وفي لفظ.»من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد«.
وبهذين الشرطين يتحصن المسلم من ألد أعدائه ألا وهو الرياء والبدعة والشرك. يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : " فهما توحيدان ، لا نجاه للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل ، وتوحيد متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم-" (4).
ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان ، أحدهما : أن لا نعبد إلا الله. والثاني : أن لا نعبده إلا بمـا شـرع. لا نعبده بعبادة مبتدعـة. وهذان الأصلان هما تحقيق " شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله " كما قال تعالى : ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)).
قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه. قالوا. يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لـم يقبل ، وإن كان صواباً ولم يكن خالصاً لـم يقـبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة. وذلك تحقيق قوله تعالى : ((فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)) (5).
ويـقـول ابن القيم رحمه الله :" فلا يكون الـعبد متحققـاً بـ ((إِيّـَاكَ نَعْـبـُدُ)) إلا بـأصلـين عظيمين :
أحدهما : متابعة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.
والثاني : الإخلاص للمعبود " (6).
والعمل - بالمشروع يحصن المؤمن من الوقوع في المبتدع من الأعمال ويغنيه عنه.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وكذلك العباد : إذا تعبدوا بما شرع من الأقوال والأعمـال ظاهراً وباطـنـاً ، وذاقـوا طعم الكلـم الطيب ، والعمل الصالح الذي بعث الله به رسوله ، وجدوا في ذلك مـن الأحوال الزكية ، والمقـامات العلية ، والنتائج العظيمـة،مـا يغنيهم عما قد يحدث في نوعه ، كالتغبير ونحوه ، من السماعات المبتدعة ، الصارفة عن سماع القرآن ، وأنواع من

الأذكار والأوراد ، لفقهاء بعض الناس. أو في قدره ، كزيادة مـن التعبدات ، أحدثها من أحدثها لنقص تمسكه بالمشروع منها"(7).
ومن الضوابط المهمة التي ذكرها أهـل السنة في شأن الأعمـال الصالحة الـتي تقرب إلى الله تعالى : القصد. والمداومة.
قال تعالى : ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُـرِيـدُ بِكُـمُ الـعُسْرَ)) [البقرة:185] ، وقال تعالى : ((وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)) [الحج:78].
وعـن أبـي هـريـرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لن ينجي أحداً منكم عمله. قـالـوا : ولا أنت يـا رسول الله؟ قـال : ولا أنـا ، إلا أن يتغمدنـي الله برحمته. سددوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا(8).
وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : »سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل«(9).
وعنها رضي الله عنها قالت : سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- : أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال : أدومها وإن قل. وقال. اكلفوا من الأعمال ما تطيقون (10).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قـال : »إن الـدين يـسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والـروحة وشيء من الدلجة«(11).
قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث الثاني : " ثم ختم ذلك بأن المداومة على عمل مـن أعمـال الـبر ولـو كـان مفضـولاً أحب إلى الله من عمل يكون أعظم أجراً لكن ليس فيـه مداومة"(12).
وقـال ابن حجر في شرح " واكلفوا ، مـن الأعمـال مـا تطيقون " : "مـا تطيقون " أي قدر طاقتكم ، والحاصل أنه أمر بالجد في العبادة والإبلاغ بها إلى حد النهايـة لكن بـقيد ما لا تقع معه المشقة المفضية إلى السآمة والملال " (13).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فإن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- هو الاقتصاد في العبادة " (14) إلى أن قال : " فمتى كانت العبادة توجب له ضرراً يمنعه عن فعل واجب أنفع له منها ، كانت محرمة ، مثل أن يصوم صوماً يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن العمل أو الفهم الواجب ، أو يمنعه عن الجهاد الواجب. وكذلك إذا كانت توقعه في محل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها ، مثل أن يخرج ماله كله ، ثم يستشرف إلى أموال الناس ، ويسألهم. وأما إن أضعفته عما هو أصلح منها ، وأوقعته في مكروهات ، فإنها مكروهة " (15).
وأورد قول ابن مسعود : " إني إذا صمت ضعفت عن قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أحب إلي " (16). وذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في معرض شرحه للأحاديث المذكورة السابقة أن فيها إشارة إلى أن أحب الأعمال إلى الله عز وجل شيئان :
أحدهما ما داوم عليه صاحبه وإن كان قليلاً ، وهكذا كان عمل النبي -صلى الله عليه وسلم- وعمل آله وأزواجه من بعده. وكان ينهى عن قطع العمل (17).
والثاني : أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير (18).
وقال ابن رجب رحمه الله في تفسير " سددوا وقاربوا " : " المراد بالتسديد : العمل بالسداد ، وهو القصد ، والتوسط في العبادة فلا يقصر فيما أمر به ، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه (19).
وحول معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- »وأبشروا« قال : " يعني أن من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر ، فإنه يصل ويسبق الدائب المجتهد في الأعمال. فإن طريق الاقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها ، فمن سلكها فليبشر بالوصول فإن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في غيرها. " وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- " فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره. وليست الفضائل بكثرة

الأعمـال البدنية، لكن بكونها خالصة لله عز وجل صواباً على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها. فمن كان بالله أعلم وبدينه وأحكامه وشرائعه ، وله أخوف وأحب وأرجى فهو أفضل ممن ليس كذلك وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح "(20).
ومما يتعلق بهذا الباب مـا ثبت في الصحيح مـن نصح النبي -صلى الله عليه وسلم- لعبد الله ابن عمرو بن العاص بأن يقرأ القرآن في كل شهر مـرة ، وبأن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام عندما رآه مقبلاً على الطاعة والعبادة وقال له : »إن لـنفسك عليك حقـاً، وإن لـزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، فائت كل ذي حق حقه«.
فينبغي مـراعاة الواجبات والموازنة بينهـا وأن لا يجتهد المؤمن في جانب ويترك جـوانب أخرى مـن الواجبات التي عليه. لذلك نرى ابن القيم قد قسم الناس في العبادة إلى أربعة أصناف ، ثـم رجح الصنف الرابع الذين : " قـالـوا : إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الـرب في كـل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته " (21). ولـيعلـم المـؤمن أن المشقـة ليست مقصودة في التكليف كمـا قـرره علمـاء الأصـول مـن أهـل السنة بـل الأصل هو رفع الحرج والعنت عن الناس. فليس لأحد أن يقصد المشقة طالباً بذلك الأجـر. قـال الشـاطبي رحمه الله " أصل آخر : وهو أن المشقة ليس للمكلف أن يقصدها في التكليف نظراً إلى عظم أجرهـا ، وله أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل "(22). ثـم زاد الأمر توضيحًا فقال : "فإذا كـان مقصد المكلف إيقـاع المشقة فقد خـالـف قصد الشارع ، من حيث إن الشارع لا يقصد بالتكليف نفس المشقة ، وكل قصد يخالف قصد الشارع باطل " (23). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. " ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق ، حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل، كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة ، في كل شيء ،لا! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ، ومصلحته ، وفائدته ، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله. فأي العملين كان أحسن ، وصاحبه أطوع ، وأتبع

، كان أفضل. فإن الأعمال. لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل " (24) ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذه الأمور وأمثالها لا تدرك إلا بالعلم وطلبه ولذلك ورد في حديث عائشة السابق " واعلموا " وهو إشارة إلى أهمية العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح المقبول.

الهوامش :

1- متفق عليه.
2 - رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، وابن ماجه في الزهد، ومسند أحمد 2 /301 ، 435..
3-متفق عليه.
4- شرح العقيدة الطحاوية / 200.
5 - مجموع الفتاوى ا /333-334
6 - مدارج السالكين 1/ 83.
7 - اقتضاء الصراط المستقيم 2 / 99.
8 - رواه البخارى ح 6463.
9- المصدر السابق ح 6464.
10- المصدر السابق ح 6465.
11- صحيح البخاري ، كتاب الإيمان 0
12 - فتح الباري 11/298.
13- فتح البارى 11 / 299.
14 - الفتاوى 5/272.
15 - الفتاوى 5/272 -273.
16 - المصدر السابق 5/276.
17 - المحجة في سير الدلجة / 45.
18 - المصدر السابق / 46.
19 - المصدر السابق / 51.
20 - المصدر السابق /52 ، 53.
21- مدارج السالكين 1 / 88.
22 - الموافقات للشاطبي 2 /128.
23 - المصدر السابق /129.
24- الفتاوى 25/281-282.

رسالة إلى أخي المسلم

بقلم : محمد محمد بدري

أخي العزيز ، أيها المسلم من أجل الإسلام في كل مكان ، يا من يقلب وجهه في السماء ويعمل فكره في الكون باحثاً عن الطريق الصحيح لعودة أمة الإسلام.. إني أشاركك حيرتك وهمومك وتطلعاتك.. لقد عانيت ما تعاني ، فتعال نبـحـث معاً في هدوء دون أن أضيق بك أو تضيق بي.. نعم لن أضيق بـك يـا أخـي الـعـزيـز فإني أستبشر خيرًا باهتمامك وتطلعك وتفكرك من أجل عودة أمة الإسلام ، وإني أرى نفسي فيك ، فقد مشيت معك هذا الدرب ومررت على ثغراته ومَنَّ الله علي بمعرفة كثير من مسالكه ومنعطفاته ، لن أطلب منك أن تكون أسير فهمي أو فهم غيري ، لن أزعم لك أني أحتكر الـفـهـم الصحيح وحدي.. لكني أدعوك دعوة هادئة إلى كتاب الله عز وجل الذي أنزل ليمنحنا الـحـيـاة ((يَـا أَيُّـهَا الَذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)) - إنك - يا أخي العزيز - تتفق معي أن هدفنا في الحياة قد حدده الله عز وجل بقوله : ((ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَـعْـبُـدُونِ)) عـبـادة الله وحده لا شريك لـه.. وأن الناس إذا انحرفوا عن هذا الهدف كان على المسلمين أن يعيدوهم إلى دائرة الالتزام به.. وعليه فمهمتنا هي تحقيق عبودية الإنسان كل الإنسان في الأرض كل الأرض لله رب العالمين.

واعلم -يا أخي العزيز- أنك تـحــزن وأنا أحـزن مـعك من هذه الغربة الثانية للإسلام »بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فـطـوبــى للغرباء «.. (يصلحون ما أفسد الناس» وتسعى وأسعى معك من أجل أن نصلح ما أفسد الناس ونغير هــذا الـواقــع ونعـيد أمة الإسلام إلى الخـيــريـة التي أرسلت من أجلها ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِـالْـمَـعْـرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَــنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) وهكذا يا أخي تجمعني معك أخوة الإسلام والرغبة في عودة أمة الإسلام

إلى المقدمة في قيادة الأمم.. ويجمعني معك شعور كلانا بالغربة ، غربة الإسلام بين أهله..
واتفاقك واجتـمـاعك معي في هذه المقدمات هو ما دعاني اليوم أن أحدثك بكل بساطة وكما يتحدث الأخ إلى أخيه في موضوع تدفعنا إليه تلك الصحوة الإسلامية المباركة التي تسير في طريق عودة الأمة إلى الله لكي تصبح أمة مسلمة تستحق نصر الله ورضوانه.
أخي العزيز.. تتفق معي أن نزول هذه الأمة من عليائها كان وفق سنن ربانية مفادها أن الله عز وجل لا يمـكـن للـنـاس حتـى يستقيموا على عهده ((وعَدَ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَــوْفِـهِـمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً)) تتفق معي في ذلك؟! فهل تؤمن معي أن عودة هذه الأمــة تخـضـع لـسـنن معينة أيضاً؟! إذا كنت تؤمن بذلك ، فأنت رجل يؤمن بإمكانية التغيير.. وهذا يدعوني إلـى أن أقـرر أمــراً هنا أراك لا تخالفني فيه وهو أن التغيير يخضع لعلاقة بين الهدف والوسيلة.. فإذا كنا نـريــد عــودة الأمـة الـمسلمة فهذا هدف له وسائل توصل إليه.. وإنه من الخطأ كل الخطأ أن نتصور أن نجاحنا في تحقيق هدفنا يمكن أن يحدث بطريقة سحرية غامضة الأسباب؟! قد تقول -يا أخي الـعـزيـز - إن مـا نمـلـكــه من وسائل لا يكفي لنصل إلى هدفنا ، وإننا في حاجة إلى إمكانيات أكبر ، وهذه الإمكانيات غير متوفرة لدينا الآن؟.. وأنا أوافقك على ذلك،.. ولكن إذا كنا لا نملك الآن ما يمكننا من الوصول إلى هدفنا هل نتوقف عن العمل حتى تـتـدخــل القــوة الخـارقـة الغامضة الأسباب لتوصلنا إلى هدفنا؟!.. أم أن المطلوب منا هو العمل قدر الوسع والطاقة واستخـدام الـوسـائــل الـتـي نملكها .. ومــا وراء ذلك من أمور أرادها الله بمشيئته المطلقة وحكمته البالغة فالله أعلم متى يهب النصر ويمكِّن لمن يستحق من عباده.
أخي العزيز : إن علينا أن نعلم أن الحركة الإسلامية تخضع لسنن الله العامة التي تشمل البشر جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، والإيمان

والالتزام بعقائد أهل السنة والجماعة دون الأخذ بالأسباب المادية للنصر لا يضمن النصر والظهور والتمكين في الأرض.
والآن - أخي العزيز - هل اتضح عندك ما أردت الوصول إليه.. إنه بكل بساطة ووضوح وتحديد إقرار لفكرة " المنهجية في العمل الإسلامي " فبين الحركة وبين هدفها منهاج عمل يلعب دوراً كبيراً في تحقيق ذلك الهدف ، والمنتصر في أمور الدنيا هو من يملك في تحركه منهاجاً واضحاً سواء كانت أهدافه سليمة أم لا.. فالدنيا ليست للمؤمنين فقط ((كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ)) وللدنيا قوانينها وأسبابها ، ومن قوانين الدنيا أن الذي يمتلك منهاجاً واضحًا في العمل هو الذي ينجح في الوصول إلى الهدف ،.. والمنهاج الذي نريده لحركتنا منهاج يأخذ بالإمكانات المتوفرة حالياً للحركة ليصل إلى أهداف معينة ، بينما هو يسعى للحصول على إمكانات أخرى توصل إلى الهدف الأكبر. أو بعبارة محددة وبسيطة منهاج قوامه " الاستفادة من الإمكانات حسب الظروف للوصول إلى الأهداف مع حساب الاحتمالات ومحاولة إيجاد الحل لكل احتمال ".. (وتفصيل ذلك له مقام آخر).
ولكني أريد أن أقول لك - يا أخي العزيز - إن الله تعالى قال : ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي)) فالتحرك الإسلامي يجب أن يكون واعياً صادراً عن خطط مدروسة ، وإعداد محكم ، واستراتيجية كاملة واضحة تغطي كافة مراحل التحرك وتدرس الواقع من جميع جوانبه.. فإذا كانت كذلك فإن التحرك يكون صحيحاً.. ويكون مؤثراً .. ويكون مُبْلِغًا الهدف بإذن الله.. ويكون لحركتنا شرف أذان الفجر في ليل الشتاء الطويل الذي نعيشه وتعيشه أمتنا.. وسيجيء هناك الحق ويزهق.

القنبلة البشرية المؤقتة في حوض البحر الأبيض المتوسط

إعداد وتعليق : قسم الترجمة بالمجلة
نشرت صحيفة "الديلي تلغراف" مقالاً بعنوان (القنبلة السكانية المؤقتة في حوض المتوسط) تـنـاول فــيـه كاتبه هذه القضية التي تقض مضاجع الغرب وهي الزيادة السكانية الكبيرة بالنسبة للدول التي تقع شرق وجنوب المتوسط ، وتراجعها في الدول التي تقع شماله.
تكشف الانـتـفـاضــة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة عن أعراض أزمة في طور التكوين تتعدى حدود الأراضي المحتلة من قبل إسرائيل بكثير ، وتمس الأزمة كل قطر من أقطار المتوسط غير الأوربية من المغرب إلى البوسفور متزايدة في تأمين متطلبات أجيالها الناشئة.
لا شــك أن زيــادة عـمــق الهوة بين الدول الغنية في الشمال ، والدول النامية والفقيرة في جنوب المتوسط سوف تؤثر على توازن دول حلف الأطلسي والمجموعة الأوربية التي تملك كلها مصالح مباشرة في المنطقة.
أما بالنسبة للفلسطينيين فالأرقام مذهلة حقاً، فالشريط الساحلي المتداعي الواقع في واجهة البحر المتوسط المعروف بقطاع غزة كان ولا يزال مرشحًا لمدة طويلة ليكون إحدى الشرائح الأرضية المنسية الأكثر كثافة سكانية على وجه المعمورة ، فقد تضاعف عدد السكان فيه منذ1948 ثلاث مرات من (200) ألف إلى(600) ألف تقل أعمار نصفهم عن الرابعة عشرة ، وبعد أن تقلصت محاصيل الفاكهة على الصعيد المحلي لم يبق من موارد الدخل إلا ما يجلبه ما يقرب من(40) ألف عامل يضطرون كل يوم للانتقال إلى إسرائيل - ومعظمهم بطرق غير قانونية ، وكذلك من التبرعات التي تهبهم إياها وكالة غوث اللاجئين الأونروا unrwa .
هذا ويتفق الخبراء العرب والإسرائـيـلـيـون على أن الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال الإسرائيلي سيتساوى عددهم مع الإسرائيليين في غضون 20 - 25 سنة قادمة.
ويزيد هذا التنبؤ في تعقيد ما يسميه "ميرون بن فينيستي" المـسـاعــد السابق لرئيس بلدية الـقــدس والـرئـيـس الـحـالي

لمشروع تجيمع المعطيات عن الضفة الغربية:"الأزمة والحيرة القاسية " لدى إسرائيل. فهو يرى أن إسرائيل لم تكسب حدوداً استراتيجية مناسبة لأول مرة في حرب الأيام الستة إلا لـتـجـد نفسها أمام مشكلة السكان العرب في الأراضي التي أخضعت لها والذين يتزايد تهديدهم لفكرة " إسرائيل" ذاتها كدولة يهودية.
لا يمكن فصل اقتصاد الأراضي المحتلة عن اقتصاد إسرائيل أبداً ، إذ إنهما متشابكان إلى أبعد الحدود. فإسرائيل في حاجة إلى اليد العاملة العربية التي يفوق عددها (100) ألف عامل يشتغل الكثير منهم " في مهن حقيرة " يترفع عنها الإسرائيليون عادة ، وتحتاج الصناعة الإسرائيلية سوقاً فلسطينية لاستهلاك بضائعها المتنوعة ابتداء من الأغذية المعلبة إلى معجون الأسنان.
ويتماثل هذا التزايد السكاني في فلسطين مع الحال في كل من بلاد الشام وشمال أفريقيا ، وقد أوضحت ذلك بشكل جلي الدراسة التي قام بها برنامج الأمم المتحدة للبيئة حول ما يتوقع بالنسبة للخمسين سنة المقبلة عندما نشر "خطته الزرقاء" في أثينا في الخريف السابق ، حيث برهن التقرير على أن ثلثي سكان البحر الأبيض المتوسط في الخمسينات كانوا أوربيين منتشرين في الدول الممتدة من مضيق جبل طارق إلى مضيق البوسفور ، غير أن هذه الصورة ستنعكس بحلول(2025) وسيصبح البحر المتوسط في غضون عشر سنوات من الآن بحراً إسلامياً ، إن لم يكن عربياً ، السيناريو الذي طالما توجس منه مستشارو شارلمان خيفة.
وقد أدى هذا التنبؤ بأعضاء بارزين من دول المجموعة الأوربية التي تطل على البحر الأبيض المتوسط إلى المناداة لاتخاذ تدابير فورية ، فالإيطاليون في حالة هلع من إمكانية تدهور اقتصاد بلدان البحر الأبيض المتوسط الجديدة المرتبطة بازدياد عدد سكانها ، حيث إن هـذا يـعـنـي تقلصاً لأسواق دول الشمال الكائنة بجوار جيران تعم بينهم البلبلة ، وقد اقترح " فرانـكـو رافـيـلـيو " رئيس إدارة الطاقة في إيطاليا أن تستثمر الدول الشمالية(30) مليار دولار من رصـيـد الأربـاح الـنــاجمة عن انخفاض أسعار النفط في إطار مشروع شبيه بمشروع مارشال لتدعيم الأنظمة الاقـتـصادية

في دول البحر الأبيض المتوسط. وقد صـــرح "بيبيرو باسيتى" - وهو وزير سابق للصناعة - قائلاً:"إن ما نشاهده حالياً في البحر المتوسط قد يجعل المباحثات بين الشرق والغرب تبدو كأنها صفحة مطوية من فصول التاريخ".
وتواجه اليونان حالياً مسألة تجمد عدد سكانها -إن لم نقل : ظهور علامات تقلصهم -في حين يزداد عدد سكان خصمها اللدود - تركيا - بشكل مطرد. وسوف تصبح كل من تركيا ومصر في غضون (25) عاماً قوتين عظيمتين في المنطقة من الناحية البشرية ، حيث سيزداد عدد سكان كل منهما آنذاك على(100) مليون نسمة.
إن الـتـركـيـبـة السـياسـية المعقدة القابلة للانفجار والناجمة عن فقدان التوازن في الأرقام تتجسد بخطوة مكشوفة في لبنان، فعلى مدى (45) سـنـة مـنذ أن وزعت السلطة والمناصب على الأقليات حسب الحجم تحت بنود الميثاق الوطني المبرم في 1943 تمـكـن الـشـيعة من الانتقال من المرتبة الثالثة إلى المرتبة الأولى ليصبحوا أكبر طائفة دينية في البلد.
تترعرع في بيروت في الوقت الحاضر نزعة دينية متطرفة من جراء الفقر والفوضى اللذين يشكلان البيئة المثالية لتفشي التعصب الديني والعقائدي على حساب التعقل والتسامح!!فمثل هذه التطورات ليست بالضرورة من صنع التدخل الخارجي البعيد العهد في شئون البلاد من طرف " الملالي " في طهران وقم. إذ يشير ظهور الحجاب والشادور واليشمك على رءوس الشابات في إسطمبول والقاهرة وتونس إلى أن الطريق نحو التعصب الديني نابع من أماكن شتى.
من بين جوانب الاضطرابات الأخيرة التي قام بها الفلسطينيون في الأراضي المحتلة القوة المتزايدة للمتعصبين الإسلاميين!!. مما يبعث على الأسف في صفوف أنصار فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية. إن مكونات النقمة على بواعثها لا تخفى على من له نظرة أقل تبصراً من نظرة السيد " ديفيد ميلر ". ويبعث منظر عمارات غزة الممتدة بغير اتساق ولا انتظام في الذهن صورة

يمكن تعميمها على بقية البلدان الجديدة في البحر الأبيض المتوسط.

في العشرين سنة القادمة "ستغطى أكثر من أربعة أخماس السواحل بمساكن لإسكان (200) مليون مقيم ، ومنتجعات سياحية من أجل الغزوات السنوية لأكثر من (500) مليون سائح ، وسيغلب على الشكل الجديد لسواحل البحر المتوسط طابع المدن المكتظة بالسكان وهو أمر بعيد كل البعد عن التصور الأسطوري لبلاد الرعاة وصيادي السمك في أركاديا arcady.

إن تحديث الزراعة وإدخال التقنية عليها سيجعل مدن حوض المتوسط تنتفخ بالسكان الوافدين بالإضافة إلى تزايد سكانها الأصليين ، فمثلاً تستوعب إسطمبول سنوياً - رغم أنفها - ثلث مليون من المهاجرين المتقاطرين عليها من القرى ، وبما أن فرص العمل تتقلص كل يوم فإن الكثير يكسبون لقمة عيش لا تكاد تسد الرمق بعد جهد وعناء في ممارسة " الأعمال الهامشية " مثل تلميع الأحذية ، وكنس الطرقات ، وغسل السيارات ، وحمل الأمتعة.

إن أحوالاً كهذه من شأنها أن ترسخ المخاوف حول مدى قدرة بلدان البحر المتوسط غير الأوربية على تطوير وتوسيع أسواقها.

وقد كاشفني " عز الدين جسوس " - الوزير المغربي المكلف بالعلاقات المغربية بالسوق الأوربية المشتركة - بهذا الواقع المر دون لف أو دوران ، فقد صرح بأن بلده يهدف إلى تحسين علاقاته مع بلدان السوق الأوربية المشتركة ويحلم في أحسن الحالات بالانضمام التام إليها إذ إن دخول إسبانيا والبرتغال السوق الأوربية قد وضع المغرب أمام خطر فقدان سوق لترويج ما يعادل مليون طن من المنتجات الزراعية والحمضيات.

وقد اختتم كلامه قائلاً :" لا يمكن أن يتحول البحر الأبيض المتوسط - وهو أكبر الممرات التجارية في التاريخ - إلى طريق مسدود ، فقد سبق أن أدت محاولة ذلك في الماضي إلى الحرب ".

وإذا تركنا جانباً إسهاب " الخطة الزرقاء " في الجانب الاجتماعي فإن توقعاتها لمصير البحر الأبيض المتوسط تذكر المرء بشكل

عجيب بالسيناريو الذي رسم خطوطه بوليبيوس ، الذي سبق ليفي حول الاصطدام بين القوتين العظميين شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط روما وقرطاج : الحرب البونية الأولى First punic war

الديلي تلغراف 19 /1/1988

تعليق على المقال

هذا المقال يعطي صورة واضحة لا غموض فيها عن نظرة أعداء الإسلام بشكل عام ، والغربيين بشكل خاص ؛ إلى التكاثر السكاني عند المسلمين ، ويعكس النظرة الضيقة المتعصبة المخالفة لكل ادعاءات التحضر والحياد العلمي الذي يزعمه من يتناولون القضايا الإسلامية بالبحث والتعليق.

ويأتي هذا المقال في وقت تصدر فيه دراسات كثيرة كلها تدق نواقيس الخطر في الغرب للبحث عن حل لمشكلة زيادة السكان في البلاد الإسلامية ، وخصوصاً القريب منها من أوربا ، ويرد موازياً للدراسات والتقارير الصادرة من اليهود سواء داخل إسرائيل أو خارجها ، ويجد له مناسبة في الأجواء السائدة الآن في فلسطين المحتلة والتي وجد العدو فيها نفسه في مأزق حقيقي أبرز مظاهره الزيادة السكانية المتصاعدة والمتسارعة في صفوف الفلسطينيين ، يقابلها تراجع في نسبة الزيادة عند المغتصبين اليهود.

وإذا كانت أغلب الدراسات في هذا الموضوع تؤكد على المقارنة بين العرب واليهود للبحث عن حل إقليمي على مستوى فلسطين وماحولها فقط ؛ فإن هذا المقال يضع المقارنة بين العرب واليهود في إطار القضية الأوسع والأعمق ، ويعتبرها جزءاً من مشكلة ذات أبعاد تتعلق بالصراع الدائم بين الإسلام والصليبية الأوربية الوثنية تحديداً..

ونتيجة لهذه النظرة فإن الغربيين يرعبهم أن يعود البحر المتوسط بحراً إسلامياً ، ويؤلمهم أن يختل التوازن الذي أرادوه لهذه المنطقة التي جعلوها مجالاً للتنافس فيما بينهم ، ومضماراً لجشعهم وشرههم.

إن بواعث التعصب والعنصرية وحب السيطرة والتعالي التي تحكم آراء الغربيين تجاه المسلمين واضحة من خلال كلمات هذا المقال ، فبينما نراه يتحسر على الوضع الذي أراده الغرب للبنان ؛ نجده يأسى بمرارة لمشاهد لابسات الحجاب والشادر واليشمك (البرقع) في العواصم الإسلامية ، وكذلك إن جهاد أهل فلسطين وهم في غالبيتهم مسلمون على مدى ثلاثة أرباع القرن ضد الاستعمار البريطاني وضد الاستيطان اليهودي لم يعره كاتب المقال بالاً ، حتى آلمته وأوجعته الأخبار الجديدة التي نقلت إليه وإلى غيره "القوة المتزايدة للمتعصبين المسلمين!! ".
واختصاراً فإن مما تجدر ملاحظته في هذا المقال أنه :
1- خطاب موجه بالدرجة الأولى إلى الدول التي يهمها أن يبقى المسلمون ضعفاء على كل المستويات ، ونذير خطر لها كي تبذل ما في وسعها لعلاج هذا الأمر الخطير.
2 - وأنه يشير بطريق غير مباشر ، وبما لا يدع مجالاً للشك ، إلى أن الذي يشجع قضايا تحديد النسل والحد من الزيادة السكانية بين المسلمين ، وتشجيع الدعوات العاملة على ذلك تحت شعارات كثيرة مثل : " تنظيم الأسرة " ، " تنظيم المجتمع"؟ "تخطيط الأسرة" إلى غير ذلك من الشعارات الكثيرة.. نقول : إن الذي يشجع على ذلك هم أعداء للإسلام والمسلمين ويخدمون أفكار مصاصي دماء الشعوب من المتعصبين الأوربيين ، علموا بذلك أو جهلوه.
3 - إن هذا المقال مثال على قصر نظر السياسات الاستعمارية المادية التي تقيس كل شيء قياساً مادياً رقمياً ، وتبني توقعاتها على ما يقدمه إليها " العلم الجامد " الذي اتخذوه إلهاً يعبد من دون الله ، غافلين عن أن قوانين الحياة ليست بهذا الجمود ، وأن الصراع لا يحسم لمصلحة من يملك المال والسلاح فقط في مواجهة من لا يملكها ؛ بل إن فضل الله وعونه يشتمل على أمور كثيرة بالإضافة إلى المال والسلاح اللذين - إذا لم يضف إليهما التواضع والرحمة والشكر - يتحولان إلى أداة تقتل صاحبها..
إن الغربيين - مع اعترافنا لهم بأنهم كشفوا كثيراً من الأمور التي كانت مجهولة ، وسخروا المادة في خدمة الإنسان ، وتفوقوا على

غيرهم في دراسة الظواهر الكونية والطبيعية - لهم منطقهم الخاص القاصر في فهم التاريخ وفي فهم حقائق الصراع البشري، وهم والمسلمون على طرفي نقيض ، فالمسلمون لهم منطقهم الذي تعلموه من كتاب ربهم الذي يقول : ((وتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ولِيَعْلَمَ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا ويَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ واللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) ولِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا ويَمْحَقَ الكَافِرِينَ)) [آل عمران:140-141].

أدب وتاريخ

ولات حين مندم

عدنان بن سالم الفهد

.. قال الفتى الشامي : وقفت متقطع الفؤاد.. مقروح الكبد.. من هول الفاجعة!! بالأمس كانت أمي.. واليوم أبي.. رحمة بي يا أرحم الراحمين.. إني لأذكر ذلك الأمس حينما قفل في وجهي باب من أبواب الجنة بموت أمي.. وبكيت ذلك اليوم وبكى كل نبض في قلبي حتى تقطعت أطنابه حرقة ومرارة.. وكلما تذكرت قصة إياس القاضي - عندما ماتت أمه فبكى وأجاب عندما سأله السائل ما أبكاك؟! قال : " كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما " فتزداد حرقتي ويزداد نحيبي.. وها هو الباب الثاني قد أقفل اليوم.. من يواسيني؟؟.. ومن يدعو لي بالرضا؟؟.. رحمة الله عليك يا أمي.. كم قد تحملت من عذاب وألم ، وكم كنت لا أعرف لك فضلاً !!.. رحمة الله عليك يا أبي.. وحمداً لك يا رب أن لم تجعل أبواب رحمتك تقفل في وجهي ، أما قال رسولك في صلة الوالدين بعد موتهما... وإكرام صديقهما ، ومنه ما ورد عن ابن عمر: " إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه "..

أعاهدك يا رب أن أصل صديقهما ، وأبرهما بأهل ودهما بعد موتهما..

وإني أتوب إليك توبة نصوحًا عن ما مضى من عصياني وعقوقي.. ولكن.. للتوبة شرط إرجاع الحق. !! أبي.. أمي.. ولكن يا رب.. يا للهول!!.. يا للفجيعة!!.. أحقاً أني في حقيقة؟؟ كيف

أعتذر؟؟..كيف أرجع الحق وصاحبا الحق قد مضيا؟!! كيف أقابلهما؟؟.. كيف أرجع الحق.؟. كيف يقبل قولي؟.. ولات حين مندم!!. أبي.. أمي..
قال الفتى الشامي : فتخيلت لفرط حزني أن أبي قد تبسم وهو يقول لي :
يا أسعد : إني أعلمك كلمات في المروءة.. قلت : نعم يا أبي ، كأنك تسمعني وأنت في عالمك الآخر.. قال : لا يا بني.. بل أعيد عليك كلمات تعرفها قد علمتك إياها في صغرك.. أو أحسبك قرأتها في تلك الأكداس من الكتب التي كنت تقرأ لي منها بعد أن هداك الله والتزمت بالإسلام - أو كما زعمت لي -.. يا بني.. " إن للسان مروءة فمروءة اللسان حلاوته وطيبه ولينه واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر.. وللخلق مروءته، فمروءته سعته وبسطه للحبيب والبغيض ".. بني " أما مروءة النفس هي حملها قسراً وقهراً على ما يجمل ويزين ، وترك ما يدنس ويشين ليصير لها ملكة في جهره وعلانيته".
- قال الفتى الشامي. نعم يا أبي. نعم ، ولكن ثق أني على عهدك وسأحمل نفسي على المروءة الحقة في لساني وجناني..
- قال الفتى : قالت أمي مقاطعة. دعك من هذا يا أبا أسعد فوالله ما رأيت منه تلك المروءة التي تحدثه عنها ، فما كان للسانه حلاوة ولا لين ، وما كان في خلقه سعة ولا بسطة ، وما حمل نفسه قسراً وما أجبرها قهراً. قال الفتى : حسبك يا أماه.. حسبك.
- قال الفتى. فصرخت صرخة قطعت كبدي ومزقت أضلعي.. ونحبت وبكيت.. وأمي تكمل : مروءتك يا بني أين كانت عندما كنا في الحياة الدنيا؟؟
- قال الفتى : وأين أنت يا أماه الآن؟؟ ألست معي.. إني أعتذر إليك مما بدر مني.
- قالت : دعك من هذا يا بني كفاك يا أسعد ((فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) ومَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ)) ((وسَيَعْلَمُ الَذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ))

- قال الفتى : فشهقت.. فوقعت ولكن تمالكت نفسي ونهضت قائماً.. رحماك ربي.. أرجوك يا أمي لا تكملي.. إني قد تبت الآن.. و.. سوف تصفحين عني.. لا لن أعود لمثل ذلك.
- قال أبي : وما ذلك يا أم أسعد؟!
- قالت أمي : أما تذكر يا أبا أسعد كم رفع في وجهي صوتاً منتصراً لزوجته أو محتجاً على تدليلي لابنته.. أما سمع وهو الملتزم بالإسلام ذلك الحديث عن أبي الدرداء ، أن رجلاً أتاه فقال : إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول. »الوالد أوسط أبواب الجنة«.. فإن شئت فضيع هذا الباب أو احفظه.. والله يا أبا أسعد ما أمرته بطلاق وإنما كانت بعض الأمور المنزلية البسيطة.. ووالله لو أرجعت إلى الدنيا لسامحته.. ولكن قد مضى قول ربي أن لا أعود..
- قال الفتى : نعم يا أمي إني أعلم ذلك.. ولكن لِمَ لَمْ تغفري لي وأنا في الدنيا؟؟..
قال الفتى : إني أعلم لم ذلك!!.. لأني ما اعتذرت ليغفر لي أو أسامح ولكني أخذت زوجتي إلى غرفة أخرى متسلياً بها.
- قد أضعت الباب " باب الجنة " يا أسعد..
- لا. لا يا أبي ما أضعته..
- قال الفتى. قال أبي : أضعته يا أسعد.. أما أغضبتك في ذلك اليوم.. فنظرت إلي شزراً ، وأنت تعلم في ذلك اليوم أن ابن أبي حاتم قد نقل عن عروة في قوله تعالى: ((واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)) ، قال عروة : إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزراً.. وجهي ، أما قال رسولك في صلة الوالدين بعد موتهما... وإكرام صديقهما ، ومنه ما ورد عن ابن عمر : " إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه "..
أعاهدك يا رب أن أصل صديقهما ، وأبرهما بأهل ودهما بعد موتهما.
وإني أتوب إليك توبة نصوحاً عن ما مضى من عصياني وعقوقي.. ولكن.. للتوبة شرط إرجاع الحق..!! أبي.. أمي.. ولكن يا رب.. يا للهول!!.. يا للفجيعة!!.. أحقاً؟ني في حقيقة؟؟ كيف أعتذر؟؟..

كيف أرجع الحق وصاحبا الحق قد مضيا؟!! كيف أقابلهما؟؟.. كيف أرجع الحق.. كيف يقبل قولي.. ولات حين مندم!!.. أبي..؟مي..
قال الفتى الشامي : فتخيلت لفرط حزني أن أبي قد تبسم وهو يقول لي:
يا أسعد : إني أعلمك كلمات في المروءة.. قلت : نعم يا أبي ، كأنك تسمعني وأنت في عالمك الآخر.. قال : لا يا بني.. بل أعيد عليك كلمات تعرفها قد
علمتك إياها في صغرك.. أو أحسبك قرأتها في تلك الأكداس من الكتب التي كنت تقرأ؟ي منها بعد أن هداك الله والتزمت بالإسلام
- أو كما زعمت لي -.. يا بني.. " إن للسان مروءة فمروءة اللسان حلاوته وطيبه ولينه واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر.. وللخلق مروءته ، فمروءته سعته وبسطه للحبيب والبغيض "..
بني " أما مروءة النفس هي حملها قسراً وقهراً على ما يجمل ويزين ، وترك ما يدنس ويشين ليصير لها ملكة في جهره وعلانيته ".
- قال الفتى الشامي. نعم يا أبي. نعم ، ولكن ثق أني على عهدك وسأحمل نفسي على المروءة الحقة في لساني وجناني..
- قال الفتى : قالت أمي مقاطعة. دعك من هذا يا أبا أسعد فوالله ما رأيت منه تلك المروءة التي تحدثه عنها ، فما كان للسانه حلاوة ولا لين ، وما كان في خلقه سعة ولا بسطة ، وما حمل نفسه قسراً وما أجبرها قهراً.. (قال الفتى : حسبك يا أماه.. حسبك..).
- قال الفتى : فصرخت صرخة قطعت كبدي ومزقت أضلعي.. ونحبت وبكيت.. وأمي تكمل : مروءتك يا بني أين كانت عندما كنا في الحياة الدنيا؟؟.
- قال الفتى : وأين أنت يا أماه الآن؟؟ ألست معي.. إني أعتذر إليك مما بدر مني.
- قالت : دعك من هذا يا بني كفاك يا أسعد : ((فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) ومَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ)) ((وسَيَعْلَمُ الَذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ))...

- قال الفتى : فشهقت.. فوقعت ولكن تمالكت نفسي ونهضت قائماً..؟حماك ربي.. أرجوك يا أمي لا تكملي.. إني قد تبت الآن.. و.. سوف تصفحين عني.. لا لن أعود لمثل ذلك.
- قال أبي : وما ذلك يا أم أسعد؟!
- قالت أمي : أما تذكر يا أبا أسعد كم رفع في وجهي صوتاً منتصراً لزوجته أو محتجاً على تدليلى لابنته.. أما سمع وهو الملتزم بالإسلام ذلك الحديث عن أبي الدرداء ، أن رجلاً أتاه فقال : إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول. " الوالد أوسط أبواب الجنة ".. فإن شئت فضيع هذا الباب أو احفظه.. والله يا أبا أسعد ما أمرته بطلاق وإنما كانت بعض الأمور المنزلية البسيطة.. ووالله لو أرجعت إلى الدنيا لسامحته.. ولكن قد مضى قول ربي أن لا أعود..
- قال الفتى : نعم يا أمي إني أعلم ذلك.. ولكن لم لم تغفري لي وأنا في الدنيا..
قال الفتى : إني أعلم لم ذلك!!.. لأني ما اعتذرت ليغفر لي أو أسامح ولكني أخذت زوجتي إلى غرفة أخرى متسلياً بها.
- قد أضعت الباب " باب الجنة " يا أسعد..
- لا. لا يا أبي ما أضعته..
- قال الفتى. قال أبى : أضعته يا أسعد.. أما أغضبتك في ذلك اليوم.. فنظرت إلى شزراً ، وأنت تعلم في ذلك اليوم أن ابن أبي حاتم قد نقل عن عروة في قوله تعالى ((واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)) قال عروة : إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزراً..
- قال الفتى : قلت : يا أبي.. ولكنك ظلمتني.. فقال لي أبي : وإن.. وإن يا أسعد.. أما نقل لك البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس أنه قال :»ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين - يعني من الجنة - وإن كان واحد فواحد ، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضي عنه ، قيل : وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه. وربك يقول ((وصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً)) ثم.. أي ظلم هذا؟!!.. هل

أمرتك بشر؟؟ لا والله.. إن هي إلا أمور دنيا.. ولتكن أموراً كنت تتعبد الله فيها... ثق تماماً.. أنك أضعت الباب يا أسعد..
- قال الفتى : فصرخت.. وما عساني أن أفعل وقد ماتا..؟! نعم.. لا عذر ولا قبول.. وربي بالمرصاد.. ويلي!!..
- قال الفتى : وسرت راجعاً بعد دفن أبي ومعي من الجموع الكثير.. وكنت والله مرعوباً متفتت الأحشاء كسيفاً مطرقاً..ما زال في فكري ذلك اليوم.. وتلك الأيام التي كنت أرد على أمي أصواتاً أو أحتج على أبي مغاضباً وكإني سيد الدنيا.. وفي تلك الأيام التي ما أرضى أن ترفع أمي طرفاً لزوجتي أو يحتج أبي على تصرف لي مهما كان صغيراً.. في تلك الأيام كنت أعلم قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُواً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)).. وما أعي معنى لذلك إلا اليوم.. وكم أبكيتها.. ولكني كنت أقرأ قول ابن عمر : بكاء الوالدين من العقوق والكبائر..
وأقرأ قوله -صلى الله عليه وسلم- : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً : ألا وقول الزور ، وما زال يكررها حتى قلت ليته سكت" - قال الفتى : وكم أبكيتك يا أمي.. وكم.. ويا ليتنى قد اعتذرت ، ما منعني إلا النسيان أو الغضب ، و.. لست أدري.. ولكني سأستغفر ربي ما عشت وأتذكر الأثر دائماً: " لا تقطع من كان يصل أباك فيطفأ بذلك نورك ".. - قال الفتى : وخطرت لي أمي.. بني أسعد.. إذا ألمت بك مصيبة فكيف تفعل؟؟
- قلت : سأستغفر ربي.. قالت : أما لو كنت حية لهانت عليك.
قال الفتى : قلت كيف ذاك يا أماه؟؟ قالت : روي عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال : إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني ، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه فغرت عليها ، فقتلتها ، فهل لي من توبة؟ قال له : (هل أمك حية؟) ، قال : لا ، قال : تب إلى الله عز وجل وتقرب إليه ما استطعت ، فذهب.. يقول الراوي : فسألت ابن عباس : لم سألته عن حياة أمه؟ فقال : إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة..

- قال الفتى الشامي : قلت : يا أماه والله لست أدري هل أضعت الجنة حقاً أم ماذا..؟ ولكني حسبي بإني قد بررت ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها..
- قال : قالت أمي : دونك وما رغبت فيه من زهد في الجنة ، وهل ظننت أن سلعة الله تكون حسب الهوى ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : »رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة «.. دعك من هذا ، أما أحرقت قلبي وأنا حية؟.. أما أبكيتني طاعة لشهواتك أو لنزعاتك أو لزوجتك أو لأمزجتك الخاصة في مواعيد إعداد الطعام أو استقبال ضيف.. بني.. اسمع بني وأخبر من وراءك من الناس.. قال الفتى : قلت هاتي يا أم.
- قالت : بني إن الطاعة التي يريدها الله ليست الطاعة التي على هواك متى غضبت نفرت.. ومتى رضيت وأنست استرضيت.. فالأم لهجها الدائم) قد رضيت عليك يا بني). وما تظنها قائلة وقد فطر الله قلبها على حب الابن.. أما ترى كم من أصدقائك من هجر وفجر فإذا رجع إلى أمه تبسمت وكأن لم يكن قد حدث منه شيء.. وأنى لها أن تعتب على فلذة كبدها.. ولكن.. هل يرضي هذا الله؟.. ثم إن كان ذلك فما معنى قوله تعالى : ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ، واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)).. وهذا قضاء وحكم وجوب من رب العزة على عدم التأفف وهو الأصغر.. وما علمت الأم تبالي بالتأفف ولكنه طاعة لله ، وتأدب معه ، وقد قرن ذلك بالإخلاص له وعدم الشرك.. ومرة أخرى قرن فقال: ((واعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً)).. إذا كان لك رغبات في الحب والكره ، وذبذبات في الرأي فمتى كان لك أن تقيس الرضا بمعيارك وتظن أنه رضى للوالدين فقد هلكت يا أسعد.. أما رأيت كيف يستذل الطائر وينكسر إذا خفض جناحه للنزول فكذلك اخفض لهما جناح الذل من الرحمة.. وهذا ما فهمه ذلك السلف الصالح.. أما سمعت

عن ذلك الرجل الذي حمل أمه على عنقه حاجاً وكان يرتجز وهو يطوف ويقول :

إني لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم التفت إلى ابن عمر وقال له : يا ابن عمر أتراني جازيتها؟
قال : لا ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ، ولكن أحسنت ، والله يثيبك على القليل الكثير.

- قال الفتى : وأكملت أمي قائلة : إيه يا بني.. كم كنت أتمنى أن أراك شاكراً لي قلباً وقالباً ، وكم كنت لا أراك إلا مرات قلائل ربما يمر اليوم واليومان ولا أراك.. وقد شغلت بمعافسة زوجتك وأولادك.. وأحن أن تتمثل الطاعة الحقة التي عرفها أبو هريرة رضي الله عنه عندما كان في بيت غير بيت أمه ، فإذا أراد أن يخرج مر ببيت أمه ووقف على بابها فقال : السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته ، فتقول : وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته. فيقول : رحمك الله كما ربيتني صغيراً ، فتقول : رحمك الله كما بررتني كبيراً.. ثم إذا أراد أن يدخل بيته صنع مثله... بربك يا بني هل كنت تستطيع أن تتخلف عن زوجتك يوماً أو يومين.. لا..

- قال الفتى : قلت : ولكن يا أماه كانت سليطة اللسان لا تتركني.. أما أنت فطيبة القلب.. "

- قال الشامي : قالت : هو ذاك.. إنها سلعة الله.. ولكني لا أعلم ما يفعل بي غداً حتى أصفح عنك أولاً .. فذلك اليوم الذي سنتقابل فيه هو اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه.. لكل منا شأن يغنيه.. وهو يوم لا أعرف فيه إلا نفسى!!..

- قال الشامي. فتأملت ما خطر لي وبكيت وأنا أقول :

فضيعتها لما أنست جهالة وطال عليَّ الأمر وهو قصير

فآهاً لذي عقل ويتبع الهوى وواهاً لأعمى القلب وهو بصير

ولكن هيهات.. ولات حين مندم...

- قال الفتى :.. أما بعد.. فإني لا أعلم هل يقدر لي الله من الأعمال الصالحات ما يؤهلني للتوفيق في الحياة والاستغفار عن ذنبي ، أم تراه يصيبني بتفريطي في حقهما يوم كانا.. وكم رأيت من عبر ودولة الأيام على الناس.. فالله منتقم... والله بالمرصاد..

.. فيا غافل.. وما زال والدك معك.. وما زالت أمك معك.. أما لك في قصتي معتبر؟!! اسمع يا أخا الإسلام ، والله إني أخشى عليك وعلى أهلك وأولادك الهلاك.. كن على حذر.. وتأمل معنى آية التأفف.. ((فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ)) وحسبي بها.. فرفع طرف الأم نحو السماء مصيب :

إذاالتفتت نحو السماء بطرفها كن حذراً من أن يصب قلبك السهم

وفي آية التأفيف للمرء مقنع ولـكـنـه مـا كـل عـبـد لـه فـهـم

ودونك فارغب في عميم دعائها فـأنـت لـمـا تـدعـو إلـيـه فـقـير

وطاعتها وبرها قولاً وعملاً ، لا قول لطيف.. وعمل هباء.. فالكلمات لا تغني ولا تشبع من جوع. أما تعرف من هم أصحاب الأعراف؟.. جاء في بعض التفاسير عنهم أنهم أقوام قتلوا في سبيل الله ولكنهم خرجوا بدون إذن آبائهم فكانوا من أصحاب الأعراف.. ومن قال لك يا مسكين أنك ستموت شهيداً؟ وقد خرجت بطراً لمشاغل الدنيا.

- قال الفتى الشامي : يا أخا الإسلام.. لا تظن كما ظننت سابقاً أن طاعة الآباء والأمهات حسب رغبتك وهواك ، وإنما هي حسب ما يرغبان هما.. وإلا لهان الأمر!!

- قال الفتى : كنت أظن أن أبي سيئ الطباع.. وأمي شرسة نمامة ، ولكني أتأمل اليوم وأقول : إن ذلك الرجل الذي قد خلقه الله منبوذاً أو مكروهاً بين الناس طوال حياته المديدة فكان يتألم ويحتقر.. قد ضمن له الله ألا يظلم.. ووعده بتاج يناله حقاً وهو إذعان أولاده له إذا ما كبر..

- قال الشامي :.. فبأي حق يا شامي قد انتزعت هذا الحق من أبيك؟.. إنه والله الهوى وحب النفس.. ويلك يا شامي يوم تعرض الموازين القسط.

يا أخا الإسلام.. يا من رغبت بزوجتك وفرحت بها متجاهلاً أمك.. ويا من

رغبت بمالك وعيالك وأصدقائك عن أبيك.. تأمل معي كيف تكون الطاعة.. أما تذكر قصة الثلاثة الذين كانوا في الغار.. نعم.. قال الأول : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فَناء بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما.. فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما فلبثت والقدح على يدي أنظر استيقاظهما.. حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة.. تأمل أخي بأي شيء توسل إلى ربه.. بالطاعة الحقة.. ومن يفعل هذا اليوم فعله؟! فكم ترى زوجات مترفات منعمات.. وأنى للأم المسكينة من أن تغبق أولاً ، وكم من أبناء قد أترفوا بنعيم وأنى للأب أن يغبق قبلهم...
أخا الإسلام.. لا تظنني أريد تفريطاً في حق الزوجة أو الأطفال ولكن أعطِ كل ذي حق حقه.. وإياك وما أنا فيه.. واغتنم حياتهما ، ورغم أنف امرء أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما ولم يدخل الجنة.. وما هي إلا مرارات وآلام أجترها يوشك أن تنسينيها الأيام ولكن من لي بمحوها من اللوح المحفوظ.. يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه...
.. ثم إنك توشك أن تقول لي : ولكن لست كأفعالك فاعل فما قدمت على أبي زوجة ، وما رفعت على أمي صوتاً.. وأنا أقول لك : صدقاً قلت ولكن.. أما وإن أوشكت أن تصر على سلامة سيرتك معهما.. فشد الوثاق ولا تمن.. فذلك هو رباط قد هداك الرحمن لحراسته وحفظه فدونك وتوثيقه... ويا سعتادتك.

شعر

إلى متى؟

شعر : أبي معاذ الخالدي

تحـيـة يا فـتـى الإسـلام والـعــرب في غـمــرة الـلـيل والإعصار والغضب

تـحـيـة .. وفـلـول الـحـق لاهـثـــة وواثــب الـحـق رغم الحـرق لم يثب
تـحـيــة .. لـك في الـســراء أبـعـثـها وفي الـشـدائـد في الآلام في الـنـكـــب
ومـن ديــاجــي مـلـمـات يضـيـق لها صـدر الحـلـيم أناجـي كـل ذي أرب
مـن أمـتـي وعـوادي الـدهـر تطحنها في مهـمة الـقحط والأجـداب واللغب
مـن أمـتـي أمـة كـانـت مـكـانــتــها فوق الـثريا تخـطـت هـامـة الشـهـب
عــزاً وبـأسـاً .. وإيـمـانـاً تـلــوذ بـه في كل مصطدم في الدهـر مــضـطــرب
تجـتاز لـيـل الـبرايـا مـن مشـاعـلـهـا وهج الـهـداية يـجـلـو ظـلـمة الـريـب
شـبـابـهـا درة الأكـوان مـا جـنحــوا لـغـير حـق .. ومـا مـالـوا إلى لـعــب
إذا جـنا اللـيـل لم تلـبث مضاجـعهم أن حـركـتـهـن ترنـيـمـات مــغــترب
جـثـوا أمـام شـديـد الـطـول خاشـعة أبـصـرهـم ودمـوع الـــذل في صــبــب
والـوحـي عطـّـر أجـواء الـظـلام ولـو لا الوحي ما بزغوا كالصبح من عجب
تـمـتد أعـمـدة الــضـوء الـتي هتـكت بقوة الحق ما اسـتـعـصى من الحجب
يا لـيل كـم شهـدت عيناك من بطـل يــبـكـي أمـام جــلال الله في رهــب؟
وفي الــنهـار لـيـوث.. كـان واحدهـم فـي ساحة الحرب كالإعصار كاللهب
فــي كـــــف أروع لا يــخــشـى وإن الـمـوت ينـقــض كالمــوتـور مـن قرب

والله أكبـر .. رغـم الـيـأس قــنـبـلــة عنيفة الحس تـرمـي القـوم عنه كثب
يـا لـلـشـهادة .. أعـيـتهم مـذاهـبـها حـيناً فـمــا يـئسـوا مــن شـدة الطلب
ولـلـسيـوف المـواضي كم قـضـت وطـراً وكـم رأت خـطراً فـي لـجـة الغضب؟
أولـئـك الـقــوم آبــائي مــفـاخـرهـم مـفـاخـري.. وأنا أولى الــورى بـأبـي
أعــظــم وأكـرم بـجـيـل كان مـنـبـتـه روض الـعقـيـدة في إثـمارها العـجـب
ويـا سـعــادتــه .. والـكـون يحـضـنـه ويـنـتشي مـن عظيم الحب كالحـب
ويـا شـقـاوة أعــداء قــد احــتـرقـــوا حقداً وضـاق علـيهم واســع السـهب
غـشـى الـنـواظـر حتى ما تكـاد تـرى مــن الـحقـائـق إلا صـــورة الـكـــذب
فـعـد إلى الله.. يـامـن عـضه الألم الـ ـدامي ويا من ربي فـي دجية الريب
واحمــل إلى الـكـون نـور الحـق إنـك إن تحمل إلى الكون نور الحق في غلب

معضلة التاء المربوطة والهاء!

منصور الأحمد

يـشـيـع الـيـوم عـلـى أقــلام الـكاتـبـين: طلاباً، ومدرسين، وصحفيين، وحتى أدباء خطأ يحسبونه بسيطًا ولكنه ليس بذلك، إذ إنه يوقع في عدم الدقة والالتباس وهو عدم الاهتمام وقلة الاكتراث بالتفريق بين حرف الهاء (هـ ، ـه) والتاء المربوطة(ة ،ـة) وعندما تحاول لفت نظر من يقع في مثل ذلك في كتابته يجيبك في استغراب وكثيراً في عدم اكتراث : ما الفرق؟!

فتقول له: الفرق أنهما حرفان مختلفان لكل منهما وظيفـته، وشتان ما بينهما، وإن تشابها في الظاهر، ويجب أن يكون أحدهما منقوطاً، وهو (الـتـاء المربوطة) والآخر غير منقوط ، وهـو (الهاء).
وللتمثيل لذلك فإن: شجرة، مكتبة ، وجميع الأسماء التي تنتهي بتاء مربوطة يجب نَقْط تائها وصلاً ووقفاً ، غاية ما في الأمر أننا عندما نقف عليها نلفظ التاء هاءً (وهذا هو الذي يوهم من لا تدقيق عنده ومن لا يعير ذلك انتباهه أنها هاء فيتركها بدون نقط).
أما الكلمات : جباه (جمع جبهة) وجوه ، الله ، تنبيه ، معتوه...
فهذه الكلمات تنتهي بالحرف(هـ) ولا يصح بحال نقطه لأننا نقرؤه هاء في حالتي الوصل والوقف.
وكذلك الكلمات: كتابه، قوله، دوره- تكتب هاء لا تاء مربوطة (أعنى هاء دون نقط) لأنها هنا هاء الضمير وتقرأ هاء وصلاً ووقفاً ، ولو نقطناها لربما حسبت : كتابة (مصدر كتب) قولة (المرة من القول) دورة (المرة من الدوران).
وهناك خطأ آخر (وهو متفرع من عدم التفريق بين التاء المربوطة والهاء) ولكنه لا يظهر إلا في القراءة وهو لفظ التاء المربوطة أثناء القراءة هاء ساكنة مثل : (عاد الطلاب إلى المدرسه بعد انتهاء العطلهْ الصيفيهْ) والواجب أن تقرأ (عاد الطلاب إلى المدرسة بعد انتهاء العطلةِ الصيفيةِ) وقد يلجأ بعض الناس إلى لفظ التاء هاء ساكنة أثناء القراءة لأنه لا يعرف حركة التاء أهي: ضمة أم فتحة أم كسرة؟ وهنا يصبح الخطأ الإملائي هروبًا من الخطأ الإعرابي، ولا يظن من يفعل ذلك أنه ارتكب خطأين وتداوى من الداء بداء آخر.
إن هذه الملاحظات ربما تقابل بهز الكتف من فئتين :
أ - فئة غير مقتنعة بأن هذا الأمر ذو بال ومهم إلى درجة التنبيه عليه ، بل لا تعتبر أمر اللـغـة الـعـربية كلـه من الأمـور التي ينبـغـي صرف الجهد إليها ونحن هنا لا نعني غير المسلمين، أو أعداء الإسلام بل نعني كثيراً من المـسـلمـين ذوي النوايا الطيبة.

ب - وفـئـة أخـرى تعـتـبره تحصيـل حاصـل، وهناك من أمور اللغة ما هو أهم منه لبذل الجهود ، وقد يستكثرون أن ينبه على موضوع كهذا في مجلة.
ولنا أمل في كل من يقرأ هذه الملاحظات من الفريقين أن يغيروا من رأيهم ويعطوها شيئاً من الجدية ، فضعف العربية ليس إلا ضعفاً لأهـلها ، والخطأ فيها منها كبائر ومنه صغائر، ولكن الصغائر إذا صاحبها التكرار والإصرار أصبحت كبائر.

هل الدولة العباسية دولة أعجمية؟

محمد العبدة

مـن أصـعـب الأمــور في الدراسات الاجتماعية أن تظن أنك في معمل للكيمياء، أو أنك أمام معادلات رياضية، إذا أضـفت هذا العنصر إلى ذاك، أو هذا الرقم إلى أخيه فلا بد أن تكون النتيجة معلومة محددة، فالنفس الإنسانية تأبى هذه المعادلات، بل هي أعقد مما كان يظن علماء النفس في أول هذا القرن.
وفي تعليلنا لحوادث التاريخ، أو عندما نصف عصراً من العصور لا نستطيع - وبكل بساطة - أن نـلقـي الكلام على عـواهـنه، ونحدد طبيعة هذا العصر أو ذاك بجملة واحدة وكأنها بديهية رياضية. ومما يتردد عـلـى الألسنة قول بعض المؤرخين أو الأدباء الذين يكتبون في الـتـاريـخ أن الـدولـة العـبـاسية (دولة أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان دولة عربية أعرابية) (1) هكذا وبهذا التعميم، وبـهـذا الإطـلاق تصبح هذه الكلمة مسلمة لا شك فيها ولا جدال، وهذه التعميمات والنظرة الأحادية للدول تطبق أحياناً على الأفراد فيظن الناس أن هذه صفاتهم الرئيسية، وباقي الصفات ضعيفة، كما يقال : شجاعة عليٍّ وحياء عـثـمان رضي الله عنهما، فيظن البعيد أن علياً شجاع بلا سياسة، وأن عثمان حيي بضعف.
إن هـذه الـتـعـمـيـمـات في الأحـكـام قــد تـكـون صـادقـة في جانب من الجوانب، ولكـنها لا تـعـطـي الـصـورة الـصـحـيـحـة للموضوع المتحدث عنه، وهذا من أكبر المغالطات الـتـي تحجبنا

عن الـتـفـكـير الـسـلـيـم، بل وتحجب الحـقـائـق عنا لأننا لم نتعود الدخول في التفاصيل والجزئيات التي باستقرائنا لها نكون أقرب للصواب.
وقبل أن نجيب على السؤال المتبادر: هل الدولة العباسية أعجمية خراسـانـية؟ أحب أن أوضح طبيعة الدعوة العباسية أولاً ثم الدولة العباسية ثانياً.
أولاً : نشطت الدعوة العباسية كحركة مضادة للدولة الأموية، همـها الأول إسـقـاط الحكم الأمـوي مـهـما كانت الوسـائـل، فهي حركة منظمة ترفع شعارات عامة لتجمع الناس من حولها، وينضوي الكل تحت لوائها، كل حسب فهمه وتوقعاته، ولا مانع لديها من العمل بواجهات مـتـعـددة ومخـتـلـفـة، فهي إسلامية ترفع شعار العدل ضد ظلم بني أمية، وهي هاشـمـيـة تـرفـع شـعار أحقـية بني هاشم دون تفـريـق بين آل العباس أو آل علي. وهي في خراسان تتقرب من السكان الأصليين ومن العرب اليمانية الذين استقروا هناك، ومن قوادها ومنظميها عرب وخراسانيون ، وقد ينضم إليها من يحمل في نفسه أغراضاً دينية وسياسية بعيدة كل البعد عن الإسلام.
يقـول ابن تيـمـية واصفاً هذه الحالة:" وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائـف من الذين نعتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال : »الفتنة هاهنا« (2) وظهر حينئذ كثير من البدع... وكان المهدي من خيار خلفاء بني العباس وأحسنهم إيماناً وعدلاً وجوداً فصار يتتبع المنافقين الز نادقة (3).
ثانياً : ولكن الدعوة بعد نجاحها وتحولها إلى دولة تبنت المذهب السني ، وتجد الدولة نفسها في صراع مع أصحاب المذاهب الهدامة من (مانوية) أو (بابكية خرمية) "وعندما لم تجد في العراق ما يكفي من العلماء لنشر السنة أتوا من المدينة بعلماء مهدوا السبيل كربيعة بن أبي عبد الرحمن ويحيى بن سعيد ، وارتحل إليهم هشام بن عروة وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ومحمد بن إسحاق ، ومن حينئذ بدأ ظهور السنة هناك"(4).

ويقول ابن تيمية : " وكان خلفاء بني العباس أحسن تعاهداً للصلوات في أوقاتها من بني أمية، فإن أولئك كانوا كثيري الإضاعة لمواقيت الصلاة كما جاءت فيهم الأحاديث :
"سيكون من بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة"(5).
وهـذه الدولة فـيها ظلم أيضاً وقع من ملوكها أو ولاتها وفيها بدع تبناها المأمون وإخوته، وترجموا كتب اليونان التي كان لها الأثر السيئ على الأمة الإسلامية ولكنها تبقى دولة إسلامية كما جاء في الحديث "ثم يكون ملكاً عضوضاً " ويصفها المؤرخ ابن طباطبا : بأنها دولة فيها مكر وخداع ، وفي تعليق للذهبي عن تحول الدولة إلى بني العباس قال:"فرحنا بمصير الأمر إليهم ولكن والله ساءنا ما جرى من سيول الدماء والسلب والنهب"(6).
ونستطيع القول: إن الدعوة العباسية أرادت أن تكون دولة إسلامية غير منحازة لفريق دون آخر ولكنها لم تتخذ الوسائل الكافية لذلك ، بل وقعت فيما أبت وتسلط عليها في بعض الفـترات أسر ذات نفوذ كبير، ثم تسلط عليها الأتراك.
ونعود للسؤال الأول: هل الدولة العباسية دولة أعجمية؟ فنقول:
1- إن مؤسسي هذه الدولة من بني هاشم من صميم قريش وكانوا مؤسسين فعلاً وليسوا أداة بيد أحد ، والذي خطط لهذه الدعوة هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وقام بتنفيذها بعده ابنه إبراهيم. وبدأت الدولة بأخيه عبد الله الملقب بالسفاح ثم بأبي جعفر المنصور ، وكانوا أقوياء ولا يستطيع أحد أن يتخذهم أداة لتنفيذ أغراضه.
2- كان عدد النقباء الذين يشرفون على الدعوة في خراسان وغـيـرها اثني عـشـر نقـيــباً معظمهم من العرب أمثال :
سليمان بن كثير الخزاعي ، وهو رئيس النقباء وشيخهم.
مالك بن الهيثم الخزاعي.
طلحة بن رزيق الخزاعي.
موسى بن كعب التميمي.
القاسم بن مجاشع التميمي.
قحطبة بن شبيب الطائي.

خالد بن إبراهيم الشيباني.
سالم بن سلام البجلي.
3- إن اصطلاح (أهل خراسان) لا يعني بالتاكيد أن جميعهم من سكان البلاد الأصليين، فالعرب استوطنوا قرى خراسان ومدنها، وكثير منهم من العرب الذين هجّرهم زياد بن أبيه حين كان أميراً على العراق ، وذلك لشغبهم على الأمويين ، وكثيراً ما يظن بعض الكتاب أن فـلانـاً أعـجـمـي بسبب نسبته إلى إقليم أو مدينة في إيران، والحقيقة أنه عربي فالذي يسمع باسم جديع بن علي الكرماني يظنه أعجمي وهو من رؤساء الأزد ، أو الفضل بن سليمان الطوسي وهو من تميم (7).
4- مـن الأدلـة على أن عـرب خـراسـان سـاهـمـوا في الدعوة العباسية ما تؤكده رواية في مخطوط (أخبار العباس) تقول: "طالت الفـتنة بين نصر بن سيار وعلي بن الكرماني ومن كان بها من العرب حتى أضجر ذلك كثيراً من أصحابها، وجعلت نفوسهم تتطلع إلى غير مـا هـم فـيـه وإلـى أمـــر يجـمـعـهم ، فـتـحركت الـدعـوة يدعو اليماني اليماني والربعي الربعي.."(8).
ولا شك أن الموالي لهم دور في قيام الدولة ، فالدعوة كما قلنا قامت بواجهات متعددة.
5- وأما ما يذكر عن رسالة إبراهيم بن محمد بن علي العباسي إلى أبي مسلم الخراساني الذي يقول فيها: "... وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل... " (الطبري 6/ 14) فهذا الجزء من الرسالة فيه تـنـاقـض صريح، فـكـيـف يـعتمد على نقباء عرب وعلى قـبـائـل عـربــية ويـوصـي خـاصـة بالـيـمـانـيـين ثـم يقول له اقتل كل عربي. وقد حاول الدكـتـور يوسـف الـعـش في كـتـابـه عن الخلافـة العباسية أن يثبت تصحيف هذه الجملة وأنها ربما تكون (إنساناً مريباً) وحاول مـنـقـح الـكـتاب أن يثبت أنها (لساناً غريباً) ولكن الـدكـتـور فـاروق عـمـر أثـبـت مـن خـلال مـخـطـوط (تـاريـخ الموصل) للأزدي أن الرسالة كتبت بهذه الصيغة (فـاقـتـل من شككت في أمره ومن كان في نفسك منه شبهة، أو وقع في نفسك منه شيء ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله) (9). ونحن هنا لا نناقش الوصية من حيث قسوتها

أو وحشيتها ، فالأزدي نفسه الذي أورد هذا النص أنكر على العباسيين قسوتهم على حركة قامت بالموصل ، والذي نريد التأكيد عليه هو أنه لا يمكن أن يصدر كلام متناقض من قبل منظر كبير للدعوة مثل إبراهيم الإمام.

6-إن العباسيين بعد أن استقر لهم الأمر استخدموا أقسى الوسائل مع خصومهم سواء كانوا عرباً أم خراسانيين فقد قتل أبو سلمة الخلال الذي كان يسمى بوزير آل محمد ، وقتل عبد الله بن علي العباسي عم الخلفاء السفاح والمنصور لأنه منافس خطير لأبي جعفر على الخلافة ، وقتل قائدهم المشهور أبو مسلم الخراساني، كما جابه المنصور حركة الراوندية الباطنية بعد أن أصبحوا خطراً على الدولة ، أما قبل ذلك فلم يتحرك لهم وعندما نصح بضربهم قال. "دعهم يدخلون النار في طاعتنا على أن يدخلوا الجنة في معصيتنا"(10).

وأخيراً فإننا لا نستطيع أن نبرئ الدولة العباسية بشكل عام من الوصف الذي وصفت به لأنه قد تسلط فعلاً بعض الأسر الأعجمية الذين لهم هوى وثقافة معينة يريدون تطبيقها على نظم الحكم أو العادات والتقاليد ، ومن أمثلة هذه الأسر. البرامكة ، وبنو سهل ، وبنو طاهر ، ولكن الخلفاء في هذه الفترة كانوا أقوياء وعندما كانوا يشعرون بجدية خطر هؤلاء كانوا يستأصلونه.

وقد يقال إن طبيعة التطور في أمثال هذه الدول أن تستعين بالأباعد حسداً وحرصاً وبعداً عن أطماع الأقارب وإن كان فيه هلاكها في النهاية. وقد وقع لبني أمية في الأندلس قريب من هذا وتبقى المشكلة في هذا الفكر الذي يريد أن يلخص حال دولة بجملة واحدة ، ولا يحب الدخول في تفاصيل الأسباب الكثيرة والجزئيات ، هذه النظرة القاصرة الأحادية للأمور وعللها والتي لا زالت تؤثر في حياتنا وتقويمنا للأشخاص والأشياء.

الهوامش :

1 - هذه الكلمة للجاحظ ويرددها كثير من القدامى والمعاصرين.

2 - يعني من المشرق.

3 - مجموع الفتاوى الكبرى 4 / 20.

4 - محمد بن الحسن الحجوي : الفكر السامي في تاريخ التشريع الإسلامي 1 / 315 ، تحقيق د. عبد العزيز القارئ.
5- الفتاوى 4 / 21.
6- سير أعلام النبلاء 6/58.
7- د. فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي / 3 4.
8 - المصدر السابق / 48.
9 - المصدر السابق / 26.
10 - د. فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي / 85.

شئون العالم الإسلامي ومشكلاته

ثورة.. ولا كالثورات

إن انـتـفـاضـة الـشـعـب الفلسطيني في الأرض المحتلة هي الحدث الذي شغل العالم طيلة الأشـهـر الأربـعـة الماضية، فقد سـيـطـرت أحداثها على نشرات الأخبار العالمية، وتناقلت صورها كل شاشات التلفاز ، وكان لها صـدى واسع ومؤثر في جميع العواصم ، واستطاعت أن تحدث انقلاباً في النظرات على مستوى لم يسبق له مثيل.

فـقـد أحدثت تغييراً جوهرياً في نفوس كثير ممن كانوا ينظرون إلى القضية الفلسطينية على أنها مشكلة حفنة من اللاجئين، وفتحت أعينهم على رؤية شعب عملاق نهض من سباته، على الرغم من وقوعه تحت وطأة الاحـتلال حوالي أربعين سنة.

وأحدثت دفعاً قوياً لـثـقـة هــذا الشعب بنفسه ، حينما رأى مقاومته غير المتكافئة للعدو تحدث هذه البلبلة والحيرة في صـفـوف الـيـهـود وأنـصارهـم. فزاده ذلك إصراراً ، وفجر طاقاته الكامنة. فهذه البلبلة والحيــرة التي وقعت لليهود انعكست إيجابياً على أهل فلسطين ، وجعلتهم يواجهون آلة الـعـدو الـعـسـكـري بـصـدور عـاريـة إلا من الإيمان ، وأيد مجردة من كل سلاح إلا سلاح الحجارة ، وشفاه يقترن فيها هتاف " الله أكبر " بمقـت اليهود ومن يقف خلفهم. وكذلك أوقعت هــذه الأحداث المفاجأة في نفـوس لصوص الحركات الجهادية والمقاومة الحقيقية ، نعني.

مناضلي المكاتب وردهات الفنادق الفخمة ، فانطلقوا - كعادتهم - يتزلفون وينافقون وينفون أي خلاف بينهم وبين من هم داخل دائرة الاحتلال.

فإذا قـال قـائـل : إن هذه الانتفاضة سوف تستغل من الجهة الفلانية أو الجهة الفلانية ، فنحن نقول لهم: هذه حركة إسلامية سوف تؤتي أكلها ولو بعد حين .. وأعظم ميزة لهذه الـثـورة الـفـريـدة في وجه الاحتلال الغاصب هي إدراك الجيل الفـتي من أبناء فلسطين أن انـتـظـار الفرج من وراء الحدود لم يعد بالحل الأمثل، وأنه - في ظـل الـظـروف الـعـامـة للمنطقة وشعوبها ومعاناتها المتراكمة - لم يبق إلا الاعتماد على النفس من مخرج ، فقد فتح هذا الجيل عيونه ليرى نفسه وجهاً لوجه مع أقسى أنواع المعاناة :

1- عدو جاثم مستهتر ومستمر في اجتثاث جذور هذا الشعب من أرضه ، وزرعها - من جديد - بشذاذ الآفاق الذين يستجلبهم من كل مكان.

2- وجيل سابق أدركه التعب ، وكاد يقتله اليأس نتيجة لتناوب النكبات عليه.

3- وصراخ كثير ينبعث من وراء الحدود ، ذو ألوان متعددة : شرقية وغربية ، يجأر به مهرجون محترفون بتوجيه السباب للصهيونية والإمبريالية والرجعية. وبتضخيم أدوارهم في سـاحـة كادت تخلو إلا منهم ، ومنظمات وأنظمة تتناخى وتزبد وترغى! ولكن ، ماذا كان نتيجة ذلك كله؟... لا شيء!

إن هذا الجيل قد فهم "ألف باء" النضال ببساطة شديدة، ولم يعد يحتاج إلى أمثلة بعيدة عن أرضه يحتذيها لمحاربة الغاصبين، ولم يترب ويتـثـقـف لا عـلـى (أدبيات) حـــرب فيتنام، ولا على (نضالات) جـيفارا ورفاقه! وإنما استمد عناصر الكفاح من (الله أكبر) التي لا تزال ترتفع من المآذن المزروعة في أرضـه، واسـتـلـهـم مواجهة العدو المسلح حتى الأسنان من روح الشهادة والشهداء التي هي من بدهيات دينه الذي لم ينتشر ظله على هذه الأرض بسهولة ، بل بعد أن تضمخت بدماء الشهداء ، وضمت بين أحضانها صفوة الخلق من صحابة رسول الله-صلى الله عليه

وسلم-، ومن سار على نهجهم من المسلمين المجاهدين دعاة الحق والخير والعدل والحرية.
إن البطولات التي يظهرها أبناء فلسطين في مواجهة أعداء الله أمثلة ترتفع لها هامة كل مسلم وكل عربي ، بل كل مهضوم الحق يؤمن أنه بالإصرار على حقه سيصل إليه لا محالة.
وإن الشهداء الأبرار الذين سقطوا برصاص العدو الغادر ، وبآلة قمعه التي تسلحه بها أمريكا وحليفاتها ؛ هم الذين يضيئون لهذا الشعب طريق العزة و الكرامة.
على مـدى أربـعـة أشـهـر كانت أيام الجمعة مناسبات تشحن روح التصدي لهذا العدو ، ويعبر فيها المسلمون في فـلـسـطـين عن غـضـبهم مـن استمرار الاحتلال ، ويستهينون فيها بأسلحة المرتزقة اليهود، فـيسـقـط مـنهم الـقـتـلى، ويتعرض الكثير منهم للضرب والتنكيل بكافة صنوفه وأشكاله، وغدت المساجد - كشأنها دائماً - مـعـاقـــل للإعـداد والمـقـاومة، ومثابة لطالبي التوبة الذين تخلوا عن الضعف والخمول، وانضموا إلى صفوف هؤلاء الفتيان المفـعمين بالحيوية وكراهية العدو اليهودي.
ومما يلفت النظر مسارعة أصحاب النفوس الضعيفة - الذين كانوا يـتـعاونون مع الـعـدو، ويقدمون له المعلومات عن إخوانهم ، ويعملون كجواسيس وعيون تبلغ السلطات الصهيونية بتحركات أهلهم لقاء منفعة رخيصة ، أو بسبب عداوة وحـقـد شـخـصي- نقول: مسارعة هؤلاء لإعلان توبتهم في المساجد على رءوس الجماهير ، ندماً علىما فعلوا ، أو خوفاً من غضبة هذه الجماهير الصادقة التي من المتوقع أن تذهب بهم وبمن يعملون لهم.
إن مـن حـق فـلـسـطـين على المسلمين في كل أنحاء العالم أن يقدموا ما يستطيعون من دعم ومساندة لأهلها الصابرين والمرابطين في وجه العدو الصهيوني ، وأن يفكروا بطرق جدية بعيدة عن أساليب الدعاية والمزايدات كيف يكونون عمقاً حيوياً لهذه الهبة التي لا ينبغي أن نقف منها موقف المتفرج.

أقوال على هامش الانتفاضة

الأدلـة المـتـوفـرة الآن في أرشـيـفات الدولة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي تفند الخرافة الدعائية المستحيلة والقائلة بأن رحـيـل الفلسطينيين الجماعي عن أراضيهم كان طواعية، وبأمر من القيادة العربية العليا.

الحاخام دايفيد غولد بيرغ - عن جريدة الاندبندنت

"الـصـواب والخـطـأ في فـلـسـطـيـن كما في أي مكان آخر، ولكن الشيء الغريب في المـسـألة الفلسطينية هو أن العالم أصغى للطرف الذي ارتكب المخالفات ، وأصم أذنيه عن الاستـماع للضحية".

أرنولد توينبي

السجون والإبعاد وحتى الموت تعتبر المدارس التي يولد فيها الثوار الحقيقيون.

كريستيان ساينس مونيتور

" لا أستطيع أن أغفر للعرب إجبارهم لأبنائنا على أن يطلقوا النار عليهم! ".

غولدا مائير

هدم العقيد لمزاجيته أفضل من هدم سجن

من قـذائـف الحاكم بأمره في ليـبـيا الجديدة أنه أعلن في خطاب ألقاه أمام ما يسمى بمؤتمر الشـعـب العربي أنه سيداهم مع ذوي المسـجـونين السجن الموجود في طرابلس وسيهدمه ثم يفرج عن أربعمائة ليبي معتقلين فيه. وأنه سيتحمل شخصياً مسئولية هذه الخطوة وما ينشأ عنها، وأنه لا مكان للسجون في ليبيا ..
وفي الـيـوم الـتالي نفذ ما وعد به حيث قاد بنـفسه "بـلـدوزر" وبـدأ بـهـدم جـدار السـجـن وكـان حـولــه عـدد كبير من رجال السلطة وذوي المعتقلين، وفي مشهد عاطفي مؤثر خرج السجناء

يعانقون أقرباءهم والدموع تتساقط من أعين الجميع وكأنها حبات المطر ، و"كاميرات" التصوير تنقل هـذا المنظر المؤثر وهذا ما يحرص عليه ويعشقه الحاكم بأمره في طرابلس.. وغير مستغرب على المعتـقـلين وذويهم أن يتفاعلوا مع هذا الحدث فلقد كانوا يظنون أنهم لن يلتقوا في هذه الدنيا وكـان الأهل لا يعلمون فيما لو كان أبناؤهم أحياء أو أمواتاً. وفي الوقت نفسه كان مـكـتـب الاتـــصـال الـخـارجي يبلغ البعثات الدبلوماسية في طرابلس. هذا القرار الذي ينص على الإفراج عن المعتقلين الأجانب أيضاً.

وأعلن صاحب القذائف في المؤتمر الآنف الذكر أن جميع المواطنين الـعـرب يمكنهم اعتباراً من الآن الدخول بحرية ومن دون أي قيد أو شرط إلى ليبيا، وقال بالحرف الواحد:

" نحن نعلن أنه اعتباراً من هذه اللحظة أن ليبيا هي أرض كل العرب بمـقـــدورهم دخولها عبر جميع المنافذ وسوف نقاوم أي شخص يمنع أي عربي من دخول ليبيا بحرية تامة من دون قيد أو شرط ". وتوعد الذين يعرقلون منح تأشيرات للعرب فقال:

" إذا سـمـعـت أن أي مكتب أخوة أو مكتب شعبي في الخارج منع أي عربي عن القدوم إلى لـيـبـيا بـحـرية سـوف أرسـل لـه جمـاهـير من هـنا أو جماهـير عربية هناك لتزحف عليه وتدمره".

وفي 24 رجب عام 1408 هـ تجـمـع آلاف المـواطـنـين أمـام مـبـنى الجـوازات والسفر وفي مقدمتهم الذين كانوا ممنوعين من السفر، وتقـدمهم العـقـيد معمر حيث دخـل بهم المكاتب وأمر بإحضار ملفات الممنوعين، ثم بدأ بتمزيقها وشاركته جماهيره في التمزيق، وقام بتسليم الممنوعين من السفر جوازاتهم الممنوعة.

وغير مستغرب أن يكون هذا الحدث موضع اهتمام الناس في الوطن العربي ، وبشكل أخص في ليبيا لأن مثل هذا الأمر يعد ظاهرة جديدة ، ولأن الشعب العربي عاطفي يـنـسـى العقل والمنطق بل والتاريخ والجغرافيا أمام الأحداث المؤثرة التي تمر به .. ونـحـن فـي "البـيان" نـحـرص على عـرض هـذا الحـدث في إطـاره الصحيح ، وننبه القراء أولاً إلى أنه لا يجوز تجاوز الأحداث التي شهدتها ليبيا خلال الأعوام الماضية، لـقـد قـامـت عـدة انـقـــلابات عـسـكـرية ضد العقيد كان آخرها قبل حوالي

شـهـريـن، وفشل الانقلاب ورافق فشله بطش وتنكيل وسفك دماء ، وتحركت القبائل تطلب الثأر من النظام ، وأصبح العقيد وقبـيـلته في وضــع لا يحسدون عليه.. وجاءت هذه المحاولة بعد الصدمة العنيفة التي تعرض لها نظام العقـيـد على يد القوات التشادية ، وساد الذعر في أوساط الجيش وأدرك أفراده أن الحاكم بأمره يزج بهم في معارك ليس لهم من ورائها أي مصلحة ، وكثر التذمر بين رجال القوات المسـلحة، وانتشرت ظاهرة الهروب من الخدمة، وأصبح رجال مخابرات العقيد وجماهيره كالـجـيـش الانكشاري غير قادرين على ضبط الأمور، ورجل المخابرات ليس مستعداً دائماً للوقوف مع النظام ضد أهله وذويه. أما ضباط الجيش فيتساءلون: مهما فعلنا لن نكون عند الحاكم بأمره كما كان زملاؤه في مجلس الثورة. لقد بطش بمعظمهم، فناس منهم علم الناس بموتهم ، وناس آخرون لا يعرف أحد فيما لو كانوا أحياء أو أمواتاً ، ويقولون أيضاً : إلى متى سيبقى هذا الرجل يطلب منا أن نفكر بعقله وليس بعقولنا؟ هل هذا هو الإسلام الذي زعم أنه جاء ليكون جندياً من جنوده ، أم هذه هي أخلاق العرب حيث يتشدق دائماً بأن أمله الوحيد تحقيق الوحدة العربية؟ أم هذه هي الحرية والتقدمية والديمقراطية التي يكثر من تردادها؟!

ويطارد العقيد كابـوس المعارضة في الخارج يزيد عددهم على ستة عشرألفاً من كبار المثقفين وأصـحـاب الاخـتصاصات العلمية المهمة وهؤلاء يؤثر غيابهم على مستقبل بلد لو كان عدد ســكـانـه أضعاف عدد سكان ليبيا، فكيف يكون الحال مع بلد يقل عدد سكانه عن ثلاث مــلايـيـن نــسـمــــة، ومساحته واسعة جداً، ولهؤلاء أنصار كثر داخل السجون الصغيرة، والكبيرة في ليبيا ، ولا ندري هل شملتهم قرارات الإفراج أم لا؟!

هذا العدد الضـخـم من المعارضة لا يثقون بالعقيد ، ويؤكدون بأن هذه ليست المبادرة الأولى في سياسته الارتجالية ، ولا يتصورون بأن الأمن سيعود إلى ربوع ليبيا في ظل هيمنة الحاكم بأمره ، ويتساءلون كيف يطاردنا النظام ونحن في الخارج ، ويسخر قطاع الطرق والقراصنة والمجرمين لتصفـيـتنا في مختلف عواصم

العالم ثم يزعم بأنه وفي موقف من مواقفه المزاجية قرر بأنه لن تبقى هناك سجون في ليبيا بعد الآن؟!
وفـضـلاً عن هـذا كله فالشعب فـقد المواد الضرورية من الأسواق، والعقيد يتحدث بعقلية راعـي الإبـل أو الـغـنـم، ونحسب أنـه سوف يصدر كتاباً أخضر جديداً يشرح فيه كيف يسـتـغـنـي عن الـعـملة الصعبة في ظل نظام يقوم على المقايضة ، فمن يملك البيض يشتري خبزاً، ومالك القمح يـشتري زيتاً ، وهكذا..
والخلاصة فنظام العقيد أشرف على الانهيار، وبات يشك بأقرب الناس إليه ، ونصحه زعماء قبيلته ، بأنهم لا يقبلون أن ينتقم الـنـاس منهم وهم لا يستطيعون مقاومة الشعب كله، وفي مثل هذه الحالات عودنا الحاكم بأمره في طـرابـلـس كـمـا عـودنـا أشـباه الحاكم بأمره على تفجير قذيفة من قذائفهم السلمية الـتي يمـتـصـون عن طريقها النقمة الشعبية العارمة، فـكـانـت مـبادرته بـهـدم سجن من سجون طرابلس، وفتح البلد أمام المواطنين العرب .. وفي ثنايا هذه المبادرة تبرز شخـصـية العـقـيد المستبدة الظالمة التي لا يمكن الاطمئنان إليها، ونحسب أن بعض الناس سيقولون لنا: كـيـف يهدم الرجـل سـجـناً ويفـتح بـلاده أمام العرب ثم تقـفـون منه هذا الموقـف؟ ولماذا تتسرعون في إصدار الأحكام؟!
نقول لهؤلاء: على رسلكم وتعالوا نناقش ما قاله العقيد، وما قيل رسمياً عن هذه المبادرة:
* قال العقيد: اعتباراًمن هذه اللحظة فستكون ليبيا هي أرض كل العرب ، إلخ... قال مثل هذا الكلام منذ بداية ثورته.. وعندما غضب من السادات طرد العمال المصريين بطريقة غير كريمة، وسجن بعضهم، وعندما غضب من بورقيبة أيضاً طرد العمال التونسيين .. ولـيـس هناك مانع يمنعه من تكرار مثل هذه الأفعال لأنه يتحرك بمزاجية غريبة.
* ومن جهة أخرى ماذا سيصنع العرب في ليبيا ، والبلد في حالة إفلاس وهو الذي يملك مـوارد هـائـلة من النفط ولكن العقـيد أنفـقـها على ثوار كوستاريكا، ونيكاراغوا، وإيرلندا وحبش، وجنبلاط، وغيرهم .. وغيرهم. أما الحديث عن المؤسسات

والمصانع التي أفلست وماذا فعل بها الخبراء السوفييت فهذا يحتاج إلى مقالات ، بل ويعرف عامة الليبيين مثل هذه الأمور التي تعد سبة عار في تاريخ هذا النظام.
* وكـيـف نصـدق أن هـذا النـظـام سـوف يفـتـح صـدره للـعـرب وهـو الذي قطع الرواتب والمـساعدات عن شـبـاب لـيـبـيا الذين يدرسون في الخارج مما جعل نفراً منهم يرتمون هنا وهناك بحثاً عن لقمة العيش.
* قال العقيد بأنه يتحمل وحده مسئولية الإفراج عن المعـتـقـلـيـن، ومن قبل تحمل وحده مسئولية الزج بهم في السجون ، وتحمل وحده تبذير أموال الأمة.
صحيح أن العقيد أفرج عن المعتقلين ولكن المشكلة أنه يتصرف بما يوحيه إليه عـقـلـه . إن كان الذين أفرج عنهم مذنبين فأين المحاكم والقانون والمحامون، ولماذا لا تعلن هذه الأمور على الملأ؟!.
لماذا لا يتفضل العقيد إن كان جاداً ويقول: كان عقلي كل شيء في حياتكم ، وقررت الآن العودة إلى المحاكم والقوانين ، وكل مواطن بريء حتى يدان ، ولا يدان إلا إذا دافع عن نفسه بحرية ومن غير كبت ولا إرهاب..
* قال العقيد:"إذا سمعت أن أي مكتب أخوة أو مكتب شعبي في الخارج مـنـع أي عربي عن القدوم إلى ليبيا بحرية سوف أرسل له جماهير من هنا أو جماهير عربية هناك لتزحف عليه وتدمره".
وهذا المقطع وحده من خطاب العقيد يفسر لنا نفسيته التي لا يستطيع التحرر مما تمليه عليه من هواجس وأهواء ، فهو دوماً صاحب القرار ، والجماهير ملك يديه من المحيط إلى الخليج - هذا إن سلمنا جدلاً بأنه قومي عربي - ومن يخالفه فمصيره الموت والدمار.. مسكينة أمتنا التي طالما ابتليت بمثل هذا الرجل العجيب الغريب ، والمدهش حقاً أن كثيراً من العاطفيين يعجبهم قول العقيد هذا ، ولو تأملوا قليلاً لوجدوا فيه محنة ليبيا التي استمرت حوالي عشرين عاماً!!
فالمكاتب الشعبية مكاتبك أيها العقيد ، ورجالها أنت الذي اخترتهم ، وهم أعز ما تملك فكيف لا يسلمون من تدميرك عندما

يمنعون أي عربي من دخول بلدك؟ انتبه أخي القارئ إلى قوله (أي عربي)، فإذا افترضنا صدق العقيد هل يدمر المواطن الليبي لأنه منع مجموعة من تجار المخدرات مثلاً؟! ومن ثم لماذا قرار التدمير بيد العقيد وهو الذي يعتمد على أشبه ما يكون بصراع الطبقات ، ولماذا يستغرب العقيد تحرك قطعات عسكرية لتدميره وتدمير نظامه أو تحرك الشعب في الداخل والخارج لمثل هذا الغرض؟فهل قرارات التدمير التي يأمر بها شرعية وتقدمية والقرار الذي يصدره الشعب أو الطبقة الواعية من الشعب ليست شرعية ولا هي تقدمية؟!

أيها العقيد العتيد: اعلم أن هـذه الـمـسرحية إذا انطلت على غوغاء الناس وعامتهم فلن تنطلي على ضباط جيشك، ولا على المعارضة في الخارج والداخل، ولن يقبل إنسان يحترم نـفـسه أن يـعـيـش في بلد دستوره وقوانينه مزاجك ومواقفك المتقلبة .. وحتى عامة الناس سيشعرون بعد حين فقدان المصداقية فيما قلته وسوف تزداد نقمتهم ، ولن يثقوا بك حتى لو تبت وصحت توبتك.

أيها العقيد النجيب. إن مزاجيتك لا يقبلها ولايرضاها أحد داخل ليبيا ولا خارجها فإذا قـال الـرجل الـثـاني في نظامك: إنني مؤمن بكتابك الأخضر، فاعلم أنه يكذب عليك كما تكذب أنت عليه وعلى غيره، فحدد موقفك وأعلن عن المبادئ التي تؤمن بها :

* هـل أنـت مـسـلتم وتريد تحكيم شرع الله كما أعلنت في بداية حكمك ، إذن لماذا تقول بإلغاء السنة والتي حكم عليك بسبب ذلك علماء المسلمين في العالم بالردة؟ .. ولماذا قـتلت عدداً غير قليل من الدعاة ، وأئمة المساجد؟ ولماذا حاولت إرغام الطالبات على الخروج بغير إذن أهلهن والتدرب على السلاح والاختلاط بالسفهاء من جماهيرك؟!

* هل تؤمن بالقومية العلمانية وتعتقد أنه لا فرق عندك بين أبي جهل وأبي بكر ، أو بين أبي لهب وعمر بن الخطاب، إذن لماذا وقفت مع إيران ضد العراق ومع إيران في عدوانها على الخليج ومحاولاتها المكشوفة من أجل السيطرة على الحرمين؟!

* هل أنت يساري شيوعي؟ .. إن الذي نعلمه أن المعسكر الشيوعي لا يثق بك ولا يعتبرك من المنتمين إليه ولا حتى من المؤيدين ، وما تظنه أسراراً يذكره عامة الناس وخاصتهم ، وآخر هذه الأمور تأييد الخبراء السوفييت للانقلاب الفاشل ضدك ، وهؤلاء الخبراء ومن وراءهم خدعوك فيما أسميته مصانع أسلحة..
* هل أنـت عبـيدي باطـني؟ وقد زعمت في بعض تصريحاتك أنك قريب للخميني، ورغـم تناقضاتك الكثيرة فلا زلت ثابتاً على موقف ودي من إيران وحلفائه ا في بلاد الشام؟!
* أم أنت أمة وحدها ، لا تدين ولا تؤمن بغير مزاجيتك ، وهذه المزاجية تلتقي حيناً مع الإسلام في موقف من المواقف، وحيناً آخر مع القومية العلمانية وهكذا، وهذا هو الأرجح، وهنا مكمن الخطر.

أيها العقيد العجيب: ثـق أننا والله نحـب أن تـتوب إلى الله سبحانه وتعالى ،وتطهر قلبك من الـكـفـر الـذي طالما أعلنته في إذاعتك وأجهزة إعلامك، وتحفظ لسانك من النطق بالكفر والفسوق والعصيان، وتـغـير أفعالك المنكرة الشنيعة .. يسرنا يا أيها العقيد أن تفتح صفحة جديدة ناصعة بيضاء في تاريخ ليبيا وتغلق صفحة كالحة سوداء لم يشهدها هذا البلد المنكوب في ظل استعمار الطليان وطغيانهم .. ننصحك صادقين أيها العقيد إن أردت التغيير أن تغير القـناعات التي في عقلك .. وأن تـتخـلـى عن المزاجية، ثم تتلف الكتاب الأخضر وتقـلع عن الكتابة لأنك لست أهلاً لها، وتحترم قبل ذلك دين الأمة .. نـعـم أن تحـتـرم عقيدة الأمة، فالمسلم قد يصبر على الذل، وقد يصبر على الجوع، وقد يصبر على الحرمان ولـكـنه لا يـصـبر ولا يسكت عن تأديب كل من يمتهن دينه ، وإذا غلب على أمره بعض الوقت فسوف ينـفـجـر البركان لا محالة ويجتث الطغاة وينتصر المسـلـمـون على الـظـالمين المفسدين.

لقد أردت أيها العقيد - كما أراد أساتذتك من قبل - أن يعبدك الناس من دون الله وأن يكون كـتـابك الأخـضر مـقـدماً على القرآن الكريم ، ولبثت من عمرك عشرين عاماً تـقـتـل وتبطش وتسجن ثم ما الذي حدث؟!

إن الذين تربوا في مدارسك وجامعاتك ومعاهدك من الشباب لا يكرهون شيئاً كما يكرهون نظامك، ولا يحتقرون شيئاً كما يحتقرون كـتـابك الأخـضـر، وسيبقى هذا موقفهم حتى لو أصبح الكتاب أسود أو أحمر، ولا يقدمون شيئاً على حب الله ورسوله.
أيها العقيد العتيد: لا أظـنك تفهم هذه الحقـيـقة لأن المنصب يعمي قلب صاحبه، وكذلك كان من قبلك لا يتعظون ولا يعتبرون، وليست مشكلتك مع هذه الجهة الإسلامية أو تلك.. إن مشكلتك مع الإسلام، ومشكلتـك مع كل من يدين بالإسلام مهما كان انتماؤه وجنسيته وإقامته.
ليتك تفهم أيها العقيد أن الأرحام التي أنجبت عمر المختار وصحبه ما زالت تنجب رجالاً يحـبـون الموت كما تحب أنت وجماهـيـرك ولجانك الحـيـاة ... وأن الرجال الذين قهروا الـطـلـيان وسـجـلـوا أنصع الصفحات في تاريخ المسلمين الحديث ما زالوا هم الرجال لأن الإسلام العظيم هو الذي صنع هؤلاء وأولـئـك ... وأن الأرض الطيبة لا تزال هي الأرض بنعمة الله وفضله.
فليتك أيها العقيد تثوب إلى رشدك وتتوب إلى ربك وتكفر عن جرائمك وظلمك قبل أن يأتي يوم لا ينفعك فيه الندم.

جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحله

عود على بدء

لا يجـوز لمـسـلـم يؤمن بالله واليوم الآخـر .. أن يكون حيادياً في موقفه من الغزو الشيوعي لأفغانستان، وانطلاقاً من هذه القناعة، ولأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، لهذا وذاك وقف المسئولون عن المنتدى الإسلامي إلى جانب إخوانهم المسلمين الأفغان، وقدموا كل ما يقدرون عليه، وكانوا يعيشون بقلوبهم وعواطفهم ومشاعرهم مع المشردين الأفغان في محنتهم ومصيبتهم ، ومنذ بداية المعارك كان أهـل المـنـتـدى يرون وجوب وحدة المجاهدين

الذين يجمعهم منهج أهل السنة ، وعليهم جميعاً أن يترفعوا عن المصالح الشخصية والعقلية القبلية ويكونوا على قلب رجل واحد ، وسجلنا هذه المعاني وغيرها في أول عدد من أعداد " البيان " على شكل رسالة مفتوحة إلى المجاهدين الأفغان ، وفي عدد آخر تحدثنا عن باكستان ودورها تحت عنوان باكستان أمام التحديات..
وعندما أعلن الشيوعيون عن مبادرتهم في إنهاء الحرب قدمنا دراسة شاملة في " البيان " تحت عنوان (جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مـراحـلـــه)، ثم رأينا أن نجمع المقالات بل الأبحاث الثلاثة في كتاب.. ونحن إذ نقدم هذا الكتاب إلى قراء " البيان " نرجو أن يكون من وراء ذلك فوائد كثيرة وعبر عديدة.
وقبل بضعة أشهر بدأت أجهزة الإعلام العالمية تتحدث عن اتفاق أمريكي سوفييتي حــول أفغانستان ، وفي 9 / 2 /1988 أعلن " غورباتشوف " الأمين العام للحزب الـشـيـوعـــي الـروســـي أن جيش بلاده سيبدأ في الانسحاب من أفغانستان ابتداء من 15 مايو /1988، وسيتم انسحاب جميع القوات السوفييتية خلال عشرة أشهر.
وقد اطلعنا على الأخبار والبيانات الصادرة عن هذه الجهة أو تلك، والتصريحات الرسمية الصادرة عن الدول الكبرى والصغرى فما وجدنا شيئاً جديداً نضيفه على ما سبق ذكره في بحـثـنـا الــسـابق (جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحله).
ومن أهم أقسام هذا البحث ما يلي :

* المبادرة سوفييتية وليست أفغانية.
* هل يرغب السوفييت في الانسحاب من أفغانستان.
* وهل يقبل السوفييت الانسحاب دون قيد أو شرط.
* أهدافهم من وراء المبادرة.
* موقف المجاهدين من المبادرة.
* أين مواطن الخلل؟
* وما النصر إلا من عند الله.

مرة أخرى نقول من يقرأ هذا البحث بإمعان لن يجد جديداً ، وهذا من فضل الله وتوفيقه ، والذين ينطلقون من مناهج ثابتة ويتحررون من ضغط العاطفة ، ومن الرغبة في تسجيل مواقف

يرضون بها هذه الجهة أو تلك يستطيعون رصد الأحداث ، وفهم الواقع بدقة ، ولا يتناقضون في تحليلاتهم ومواقفهم.
واستجابة لرغبة قرائنا سنكتب عن الأحداث الجديدة ولكن سنتناولها بإيجاز ، ونريد من إخواننا المسلمين أن يراقبوا هذه الأحداث بدقة ويعلموا من خلالها كيف تتغير الأحوال عندما تتفق الدولتان العظميان على موقف من المواقف ووعي المشكلة جزء من حلها.
* رفض سكرتير وزارة الخارجية الأمريكية التعليق على موقف بلاده من حكومة المجاهدين ، وقال: سمعت بها الآن ، ثم بدأت أجهزة الإعلام تنقل عن إدارة البيت الأبيض عزمها على إيقاف المساعدات التي تقدمها للأفغان.
* المصادر الرسمية السوفييتية والغربية والأمريكية تدعو إلى وجوب عودة ظاهر شاه وتشكيل حكومة ائتلافية ، كما تدعو إلى ضرورة اشتراك السياسيين الأفغان المقيمين في الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا بهذه الحكومة ، وهؤلاء السياسيون الذين يتحدثون عنهم عملاء للغرب وخصوم للإسلام والمجاهدين.
* مصادر سوفييتية وغربية تتساءل : لماذا لا تشارك المنظمات الأخرى؟يعنون : المنظمات الرافضية الهزيلة مثل : حركة إسلامي - آية الله محسني - الشورى والاتفاق - آية الله بهئشتي ، وغيرهما.. في اتحاد المجاهدين السبعة ويريدون من وراء هذا أن تكون الأكثرية المطلقة ضد الإسلام السني.
ولهذا جاء في بيان غورباتشوف الآنف الذكر : " إننا نعتقد أن إيران الدولة المجاورة لا يجب أن تظل بمعزل عن أية تسوية سياسية في أفغانستان ".
ونذكر القراء بما ذكرنا في أبحاثنا الماضية عن دور إيران ، كما نذكر القراء بتعاون نظام الآيات وعملائهم داخل أفغانستان مع الشيوعيين السوفييت ، وعند المجاهدين حقائق مذهلة عن مثل هذا التعاون.. وبكل أسف فقد سمعنا أن بعض المجاهدين يهدد إذا أخرج من باكستان في الالتجاء لإيران ، فليتذكر هؤلاء مواقف إيران بجدية... وليتذكر كيف يعاملون الأفغان السنة في إيران :

والمستجير بعمرو حين كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
وتحاول الهند بالتنسيق مع السوفييت إشراك إيران في حل مشكلة أفغانستان ، وتصرح باكستان بأنها تطلع إيران على كل ما تجريه من مفاوضات تتعلق بهذه المسألة.
وهؤلاء المجاهدون الأبطال الذين قدموا آلاف الشهداء ، وسجلوا أروع الصفحات في تاريخ أمتنا الإسلامية الحديث ، ونالوا إعجاب العالم وتقديره.. هؤلاء المجاهدون الأشاوس تغير أسلوب الحديث عنهم في الصحف وأجهزة الإعلام العالمية وقسمتهم إلى قسمين :
* معتدلون.
* متطرفون.
فالمعتدلون - مجددي وكيلاني ومحمدي - وهم الذين ينادون بعودة ظاهر شاه وتشكل حكومة ائتلافية ، وهم الذين يريدون الخير لبلدهم وما إلى ذلك من ألفاظ رقيقة وألقاب فضفاضة.
أما المتطرفون فهم الذين نعرف بأنهم يريدون أن يحكموا شرع الله في بلدهم.. أصبحوا الآن متطرفين وسيقال غداً بأنهم دعاة عنف وإرهاب ، وأنهم متعطشون لسفك الدماء...
وكما قلنا في أبحاثنا السابقة ، ستغلق في وجوههم الأبواب التي كانت مفتوحة ، وستمنع عنهم المساعدات ، وسوف تهاجمهم أجهزة الإعلام ، وسيتأثر بهذه الدعاية المسمومة كثير من المغفلين الذين يغيرون قناعاتهم بسهولة ويسر.
وليعلم إخواننا أن الجنة حفت بالمكاره ، والنار بالمغريات ، والمهم إرضاء الله سبحانه وتعالى ، وحذار مما يسمى بالحكومة الائتلافية أو الحيادية فليس هناك شيء اسمه الحياد، وكيف يكون الإنسان حيادياً بين الشيوعية والإسلام ، أو بين العلمانية والإسلام؟ بل كيف يكون هناك ائتلاف بين أعداء الله وعبيده الطائعين الراكعين. قال تعالى : ((فَلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ ، ودُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)).
إن أعداء الله جددوا تحالفهم واتفقوا أن لا تقوم في أفغانستان دولة مسلمة سنية وسيشعلون نار الفتن ويستخدمون جميع التناقضات ، ونقاط الضعف في هذا البلد المسلم، فحذار حذار أن

توجه البنادق إلى غير صدور الشيوعيين والعلمانيين الكافرين ، وكما قلنا سابقاً فأهم شيء في جهاد المسلمين الأفغان الاستقلالية ، ولن يتمتعوا بالاستقلال إلا إذا انتقلوا إلى داخل أفغانستان واستفادوا من جبالها الشامخة ، وجعلوا من أرضها مقبرة لكل أفاك أثيم.

ما نأمله من إخواننا المجاهدين أن يتعاملوا مع هذه المرحلة بنوايا خالصة ، وعزائم قوية، وعليهم أن يرصوا صفوفهم ، ويحذروا من إرجاف المرجفين ، وتخذيل المتقاعسين الذين يبحثون عن أي حل في أفغانستان.. إن دماء وأعراض الملايين لا يجوز بحال من الأحوال أن يستهان بها أو أن تهدر بموقف متسرع أو قرار غير مدروس.. إنها الأمانة يجب الوقوف عندها طويلاً .. طويلاً .. ولا ندري لعلها بعون الله تعالى وتوفيقه بداية نصر الإسلام التي لن تكون أيسر من الجهاد نفسه.. إن كثيرين ممن صبروا على آلام الجهاد ولأوائه قد لا يطيقون الصبر على غنائم النصر ، ولا يملكون كبح جماح شهوة السلطان والسلطة ، فتكون القاصمة القاضية.

ولنا في غزوة أحد وماتنزل عنها من الآيات عظة وعبرة.. - لقد صبر الأصحاب على مرارة الطريق وآلامه ، وانتصروا في غزوة بدر ، وظنوا أن الجهاد قد انتهى بهذا ، ودخلوا غزوة أحد ظانين أن النصر لهم لا محالة ، وجاءت الغنائم ، وضعفت النفوس ، وبرز حظ الدنيا فكانت الهزيمة كما قال الله تعالى : ((ولَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُم بِإذْنِهِ حَتَّى إذَا فَشِلْتُمْ وتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ومِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ))

حتى قال بعض الأصحاب. ".. والله ما علمت أن فينا من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية...".

ولقد حذرنا الله تبارك وتعالى وبين لنا سبب الفشل والهزيمة وذهاب الريح فقال :

((ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ))

فالتنازع والتفرق ، وتنوع الاتجاهات ، وتوزع المقاصد وتنوع الولاءات إن لم يسبب الهزيمة - لا سمح الله - فهو بلا ريب سبب في تأخير النصر.

إذاً فليستمر الجهاد ، وليكن من الداخل ، دون منة هذا الطرف أو ذاك ، أو وصاية هذه الجهة أو تلك ، وليكن بطريقة مدروسة ، وليكن بطريقة مستقلة.. جهاد دائم مستمر حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله تبارك وتعالى.
اللهم اجمع كلمة إخواننا المجاهدين على الهدى ، ووحد صفهم ، واربط بين قلوبهم بحبك، اللهم خذ بأيديهم، وكن لهم ولا تكن عليهم ، وارحم ضعيفهم ، واجبر كسرهم، وسدد رميهم ، واخذل عدوهم.. اللهم أبطل بحولك وقوتك مكر الأعداء، وأزل هذه الغمة عن هذه الأمة ، ورد أمة محمد إليك رداً جميلاً .. يا عزيز يا كريم يا واسع الفضل وعظيم الاقتدار... آمين... آمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

أخبار حول العالم

أوزبكستان

زيادة في السكان .. وتمسك بالإسلام

مراسل (بي. بى. سي) في موسكو :"جيرمي هاريس"

شن الحزب الشيوعي السوفييتي هجوماً عنيفاً على الأسلوب الإداري في إحدى جمهوريات آسيا الوسطى التابعة للاتحاد السوفييتى. وذكرت جريدة " برافدا " لسان حال الحزب الحاكم أن المسئولين في جمهورية "أوزبكستان" يسبحون في الفساد والتهاون في العمل. ويبدو مقال صحيفة برافدا وكأنه سيناريو يحكي مخاوف موسكو البالغة من شبح تحرك الجمهوريات الواقعة تحت هيمنتها في آسيا الوسطى التي بدأت الحياة تدب فيها. وتشكل المقالة عرضاً لعدد من أوجه القصور العام الذي تشهده هذه الجمهورية ، وكذلك الخمول واللامبالاة والفساد الإداري والمحسوبية ، كل ذلك مقترناً بظاهرتين اثنتين تمثلان السبب الرئيسي لمخاوف موسكو الشديدة وهما :
أ - تعاظم معدل النمو السكاني.
ب - استمرار ولاء السكان للإسلام.

وتقول الصحيفة:" إن الثلث فقط من عدد العاملين في أوزبكستان يمكن اعتبارهم عـمـالاً بـمـعـنـى الـكـلـمـة، وبـمـا أن ظاهرة البطالة من الأمور المعترف بها رسمياً في المجتمعات الـشـيـوعـية ؛ فإن صحيفة برافدا تحاول تفسير هذه الظاهرة على أنها : إما وليدة غياب العمال عن وظائفهم ؛ أو انعدام جديتهم في عملهم.

وتـضـيـف الـصـحـيـفـة: إن معدل الولادات في هذه الجمهورية قد وصل إلى ثلاثة أضعاف معدلات الولادة في سائر الجمهوريات السوفييتية ، مما يستدعي تحسين طرق تنظيم النسل فيها (الدعوة إلى الحد من تناسل المسلمين).

كما اعترفت الصحيفة بانتشار نفوذ الإسلام على نطاق واسع بين أهالي أوزبكستان ، وتقول الصحيفة : إن مسئولاً سـابـقـاً في الحزب الشيوعي ساعد في بناء مسجد هناك!! وكانت موسكو قد عينت رئيساً جديداً للـحـزب في أوزبكستان في الشهر الماضي ، في محاولة للحد من تفشي ظواهر الفساد المذكورة ، ومـــع أن "البرافدا" لم تنتقده بشدة ؛ لكنها لم تترك لقرائها مجالاً للتفاؤل بأنه سينجح في مهمته هذه فعلاً .

فضائح أباطرة التبشير

"جيمي سويغارت" 52 سنة، شخص يتقد حيوية، يـقـدم بـرنامج تلفزيوني باسمه ويصل إلى تـسـعـة مـلايـين أمريكي. ويـشـرف على إمبراطورية للبث التلفزيوني التبشيري تقع في (باتون روج في ولاية لويزيانا) وأرباح هذه "الإمبراطورية" حوالي (156)مليون دولار سنوياً، وتبث برامجها إلى (140) بلداً، ويـتبعها كلية لألف طالب لتعليم الإنجيل، وكنيسة تتسع لسـبـعـة آلاف شـخـص، وهـو مـعـروف بموهـبـتـه الموسيقـية، وبعدائه للكاثوليك.

هـذا المبشر (التاجر) سبق له أن أشـرف على فضح منصرين آخرين يستخدمون الـتـلـفـزيون لهذا الغرض، ففي العام الماضي شــارك في كشف النقاب عن الفضيحة الأخلاقية لـ "جيم باكر" زعيم جماعة التسبيح بآلاء الرب، سكرتيرته "جاسيكا هاهن".

كما ساهم "سويغارت" في كشف فضائح "مارفن غورمان" المنافس له في نشاطه من "نيو أورليان" ، وقد أدى بهما التنافس على النفوذ إلى أن اتهم سويغارت غورمان بالفساد الخلقي وأثبت ذلك بالأدلة الدامغة التي أدت إلى تجريد "غورمان" من مناصبه الدينية، ومع أن هذا الأخير قدم شكوى لدى المحكمة ضد سويغارت مطالبا بمبلغ(90) مليون دولار كتعويض عن التشهير به ، ونشر إشاعات خاطئة حوله ، إلا أن ذلك لم ينفعه.

أخيراً وقع سويغارت في الفخ ، وجاء دوره في مسلسل الفضائح ، حيث يبدو أن غورمان قد انتقم لنفسه ، فقد حصل على صور لسويغارت مع إحدى المومسات ، ويقول غورمان إن سويغارت قد اعترف بعد محادثة دامت ساعتين في سيارته أنه سبق أن كانت له علاقة مع "عدد كبير من العاهرات" ، وفي اليوم التالي انهار سويغارت باكياً أمام غورمان ومحاميه.

وقد صرح مصدر أن هذه الفضيحة سيكون لها أبعاد خطيرة على هذه المؤسسات التبشيرية المعروفة بـ Evangelical christians أكثر من فضيحة (باكر) العام الماضي.

وهذا المبشر (سويغارت) هو الذي تحدى الشيخ أحمد ديدات، وجرت بينهما المناظرة العلنية أمام الجمهور ، وصورت هذه المناظرة على شريط فيديو موجود في السوق.

وبعد: فهذه هي قصة هذا المبشر ، كما نشرتها الصنداي تايمز 21/2/1988

مشاهداتي في بريطانيا

حادثان لهما معنى واحد

د. عبد الله مبارك الخاطر

الحادثة الأولى:

بطل هذا الحادث - إن جاز أن نطلق عليه كلمة بطل - شاب عربي من عصاة المسلمين كان يدرس في بريطانيا ثم أنهى دراسته وكره العودة إلى بلده بسبب الحرب التي لا يريد أن يكون

جندياً فيها لا لشيء إلا لأنه لا يحب أن يموت، وليس أمامه للإقامة في بريطانيا إلا الزواج، وتزوج فعلاً من امرأة نصرانية إنكليزية من مقاطعة "ويلز"، وأهل هذه المقاطعة يحتفظون بشيء من الأخلاق والعادات الطيبة..
وكان الزوج وديعاً في بداية حياته الزوجية ، وكانت المسكينة تظن أنها سوف تعيش حياة سعيدة معه ، وطالما حلمت بالأولاد والمستقبل والاستقرار والهناء والنعيم.
والزوج كان ممثلاً يظهر خلاف ما يبطن ، والزوجة عنده وسيلة للإقامة..
وبعد حين من الزمن عاد إلى الحياة التي ألفها.. عاد إلى الكاس والطاس.. عاد إلى استقبال وصحبة حثالة الناس.. عاد إلى الأفلام الماجنة المثيرة!!
رفضت المرأة سلوك زوجها ، وحاولت إقناعه بتغيير مسلكه ، وذكرته بما كان بينهما من وعود قبل الزواج ، ولكن الطبع غلب التطبع ، ولم تجد المرأة أمامها إلا الانفصال عن هذا الرجل ، فانفصلت غاضبة حانقة عليه وعلى بلده الذي ينتمى إليه ، وعلى الدين الذي يدين به.
استغل أقرباؤها المتعصبون هذا الموقف أبشع استغلال، وألصقوا عيوب زوجها السابق بالإسلام، ودفعتها كثرة الحديث عن الإسلام إلى دراسته لتشهر به وبكل من يدين به، وعند الغربيين جلد ومثابرة إذا بحثوا مسألة من المسائل ..
وبعد أن قرأت مجموعة من الكتب التي أتيح لها الحصول عليها، وبعد أن زارت أكثر من مركز إسلامي وقابلت عدداً من المسلمين تبين لها عظمة الإسلام وصفاءه وأنه دين الفطرة فأسلمت وحسن إسلامها وعلمت خطورة من ينتسب للإسلام ثم يتخلق بأمثال أخلاق زوجها السابق ، وأصبحت بحمد الله من العاملات للإسلام.

الحادثة الثانية :

شاب عربي مسلم كان يدرس في لندن، ولم يستطع إقناع نفسه أنه يعيش في لندن فعلاً، ومن الأمثلة على ذلك أنه كان يقود سيارته في الشوارع العامة المزدحمة وكأنه في صحراء

مقفرة وليس له من يشاركه السير فيها، ولهذا فالرجل يسير بالسرعة التي يريدها ولا يهتم بالإشارات الضوئية ، وكانت له حوادث كثيرة.. وذات مرة صدم امرأة مسنة وكان الحق معها، وكان صاحبنا المخطئ، ثم أطلق العنان لذلوله - عفواً لسيارته - وأدرك أن المرأة هلكت في أرضها، ولم يحاول إسعافها، وخشي من المحاكمة فهرب إلى بلده وترك دراسته وجـاء ابـن المرأة العجوز إلى المستشفى فوجد أمه قد فارقت الحياة، وبعد البحث والتحقيق علم أن الذي تسبب في الحادث عربي مسلم وأنه هرب وغادر بريطانيا، وكان الرجل لأول مرة يسمع بكلمة مسلم وإسلام - كما ذكر فيما بعد - فدفعه الغضب والفـضول إلى دراسة شيء عن هذا الدين الذي خرج أمثال هذا الذي قتل أمه، وشاء الله له الخير والهداية، وشرح صدره للحق ، وعلم أن الإسلام يأمر بغير ما فعله قاتل أمه وأنه دين الحق والعدالة والحرية والمساواة ، فأعلن إسلامه ، وصلح حاله ، وكان لسان حاله ير دد كما كان لسان حال التي ذكرناها في الحادث الأول يردد :

ظلمته ألسنة تؤاخذه بكم وظلمتموه مقصرين كسالى

استراحة البيان

إعداد : صالح الغفيلي

أولاً : قبس من النور :

قال الله عز وجل : ((وَالْعَصْرِ ، إنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إلاَّ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ))

وقفة مع السورة :

يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال :

في هذه السورة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام، وتـبــرز مـعـالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة. إنها تضع الدستور الإسـلامي كله في كلمات قصار ، وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها ، فـي آية واحدة هـي الآيـة الثالـثـة من السورة.. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله..

إنه على امتداد الزمان فـي جمـيــع الأعصار ، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار ، ليس هنالك إلا منهج واحد رابح ، وطـريــق واحـد ناجح ، هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده ، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه .. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار ...

ثانياً : قبس من السنة :

المرور بين يدي المصلي :

عن أبي جهيم الحارث بن الصئمة الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه " رواه البخاري.

ثالثاً : من كلام السلف رضي الله عنهم :

قال ابن مسعود رضي الله عنه :" اطلب قلبك في ثلاثة مواطن : عند سماع القرآن الكريم ، وفي مجالس الذكر ، وفـي أوقـات الخلوة ، فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك " الفوائد لابن القيم / 148

رابعاً : محبة الله :

قال ابن القيم رحمه الله...

في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة :

1- قراءة القرآن.

2- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

3 - دوام ذكره على كل حال.

4 -إيثار محابه على محابك.

5 - مطالعة القلب لأسمائه وصفاته.

6- مشاهدة بره وإحسانه.

7 - انكسار القلب بين يدي الله.

8 - الخلوة به سبحانه وخاصة في أوقات الاستجابة.

9- مجالسة الأخيار.

10- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله

(مدارج السالكين 3 /17-18 "بتصرف").

من رسالة للأخ عبد الله المسفر نختار هذه الفقرة :

ذكر الذهبي في ترجمة عمرو بن العاص :
قال عمرو بن العاص : خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية ، فقال عـظـيم منهم : أخرجوا إلي رجلاً أكلمه ويكلمني فقلت: لا يخرج إليه غيري ، فخرجت مـعـي تـرجمـانـي ، ومعه ترجمان حتى وضع لنا منبران ، فقال : ما أنتم؟ قلت : نحن العرب ، ومن أهـل الـشـوك والقرظ ، ونحن أهل بيت الله ، كنا أضيق الناس أرضاً وشره عيشاً نأكل الميتة والدم ويغير بعضنا على بعض ، كنا بشر عيش عاشه الناس. حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذ شرفاً ، ولا أكثرنا مالاً ، قال : أنا رسول الله إليكم يأمرنا بما لا نعرف ، وينهانا عما كنا عليه فشنفنا له ، وكذبناه ، ورددنا عليه حتى خرج إليه قوم من غيرنا فقالوا. نحن نصدقك ونقاتل من قاتلك ، فخرج إليهم وخرجنا إليه وقاتلناه فظهر علينا ، وقاتل من يليه من العرب فظهر عليهم فلو يعلم من ورائي من العرب ما أنتم عليه من العيش لم يبق أحـد إلا جـاءكـم فـضـحـك ، ثم قال. إن رسولكم قد صدق ، وقد جاءتنا رسل بمثل ذلك وكنا عليه حتى ظهرت فـيـنا ملوك فعملوا فينا بأهوائهم ، وتركوا أمر الأنبياء فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحـد إلا غلبتمـوه وإذا فعلتم مثل الـذي فعلنا فتركتم أمر نبيكم لم تكونوا أكثر عدداً منا ، ولا أشد منا قوة" (سـيـر أعــلام النبـلاء 3/70-71)

هكذا كان العرب في الجاهلية في ظلمة يدركون شدتها حينما جاءهم الله بنور هذا الدين فأخرجهم من الكفر إلى الإيمان ومن الشك إلى اليقين.

لم يتردد هذا الصحابي لحظة واحدة أن يذكر تلك الصفات التي كان يحس بمرارتها بعد أن شم رائحة الإيمان ، وعاش في رحاب التوحيد "

صدق وصراحة وشجاعة ، وعدم خجل من ماضيهم المشين ، في الوقت الذي نجد كثيرًا من المسلمين يحرصون على إبراز آثار الماضي والتي لا يحرصون على عرضها على الإسلام أموافقة له

أم مخالفة؟ نحس بالهزيمة فنتلمس شيئاً نفخر به ، وليس عندنا الشجاعة والإحساس بعظمة هذا الذين لنتخذه هو وحده - وهو كذلك - المفخرة الحقيقية ، ولذلك نجد قوماً يهتمون بالآثار فيبذلون جهوداً في البحث والتنقيب ليقولوا لغيرهم من الأمم : إن عندنا شيئاً كما عندكم حتى لو وصل بهم الأمر إلى الفخر بالأصنام لربما بحثوا ليشابهوهم في فخرهم ، فلا غرابة إذا رأينا أن النصر الذي نزل عليهم لم ينزل علينا ، وأن التمكين الذي سعدوا به لم نسعد به.

قديم جديد

الإنكليز حلقة الشر المفرغة

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله

نشرت في العدد 24 من جريدة البصائر الجزائرية سنة1948 وأعدنا نشرها لما فيها من سداد الرأي وقوة التعبير.

أيها العرب :

إن الإنكليز هم أول الشر ووسطه وآخره ، وإنهم كالشيطان ، منهم يبتدئ الشر وإليهم ينتهي ، وإنهم ليزيدون على الشيطان بأن همزاتهم صور مجسمة تؤلم وتؤذي وتقتل ، وجنادل مسمومة تهشم وتحطم وتخرب ، لا لمة تلم ثم تنجلي ، وطائف يمس ثم يخنس، ووسوسة تلابس ثم تفارق ، ويزيدون عليه بأنهم لا يطردون بالاستعاذة ، وتذكر القلب، ويقظة الشواعر ، وإنما يطردون بما يطرد به اللص الوقح من الصفع والدفع والأحجار والمدر ، ويدفعون بما يدفع به العدو المواثب ، بالثبات المتين للصدمة ، والعزم المصمم على القطيعة وبت الحبال ، والإرادة المصرة على المقاطعة في الأعمال ، والإجماع المعقود على كلمة واحدة ككلمة الإيمان : " إن الإنكليز لكم عدو فاتخذوهم عدوا ". يرددها كل عربي بلسانه ، ويجعلها عقيدة جنانه ، وربيطة وجدانه ، وخير ما يقدمه من قربانه.

قد غركم أول الإنكليز فأعيذكم أن تغتروا بآخره بعد أن صرح شره ، وافتضح سره ، وانكشف لكم لينه ، عن الأحساك والأشواك ، وقد تمرس بكم فعرف الموالج والمخارج من نفوسكم ، قبل أن يعرف أمثالها من بلادكم ، وحلل معادن النفوس منكم قبل أن يحلل معادن الأرض من وطنكم ، وعجم أمراءكم فوجد "أكثرهم من ذلك الصنف الذي تلين أنابيبه للعاجم ، وتدين عروبته للأعاجم.

قد علمتم أنه هو الذي وعد صهيون فقوى أمله ، ولولا وعده لكانت الصهيونية اليوم كما كانت بالأمس حلماً من الأحلام يستغله (الشطار) ويتعلل به الأغرار.

وعلمتم أنه انتدب نفسه على فلسطين فكان الخصم والحكم في قضيتها ، وأنه ما انتدب إلا ليحقق وعده ، وأنه في ظل انتدابه ، وبأسنة حرابه ، حقق صهيون مبادئ حلمه ، فانتزع الأرض منكم بقوة الإنكليز ، وقوانين الإنكليز ، وفتن ضعفاءكم بالخوف ، وفقراءكم بالمال ، حتى أخرجهم من ديارهم ، واتخذ الصنائع والسماسرة منكم ، وبنى المدن بأيديكم ، ومهد الأرض بأيديكم وشاد المصانع بأيديكم ، وأقام المتاجر وبيوت الأموال لامتصاص دمائكم وابتزاز أرزاقكم.

وعلمتم أن الإنكليز هم الذين سنوا الهجرة بعد الفتح ليكاثروكم بالصهيونيين على هذه الرقعة من أرضكم ، فلما انتبهتم للخطر غالطوكم بالمشروع منها وغير المشروع. ومتى كانت هجرة الوباء والطاعون مشروعة إلا في دين الإنكليز؟!

وعلمتنم أن بريطانيا هي التي جرت ضرتها البلهاء أمريكا إلى مجادَّتكم وجرأتها على احتقاركم لتكيدها وتكيدكم ، ولتحل بالسياسة ما عقده الاقتصاد بينكم وبين أمريكا من صلات ، وأنها هي التي ألبت عليكم الأمم الصغيرة ودويلاتها حتى إذا جالت الأزلام وأيقنت بالفوز أمسكت إمساك المتعفف ، وتظاهرت بالروية والحكمة ، وجبرت خواطركم بالحياد ، وملأت الدنيا تنويهاً بهذا الحياد الفاضح ، فكانت كالقاتل المعزِّي ... يا ضيعة الآداب الإسلامية بينكم ، إن المؤمن لايلدغ من جحر مرتين.

وقد لدغتم من الجحر الإنكليزي مرات فلم تحتاطوا ولم تعتبروا ، وخدعتم من الجانب الإنكليزي كرات فلم تتعظوا ولم تتبصروا.

خدع خلفكم كما خدع سلفكم ، واستهوى أمراءكم وكبراءكم ، ودعاكم إلى موائده الفقار(كذا ، ولعلها.موائد القمار) فلبيتم ، وما رأى منكم في كل الحالات إلا المجاملة ، واستمرار المعاملة ، وما آنس منكم إلا التهافت على أعتابه والتعلق بأسبابه.
فيا ويحكم... أكلُّ ذلك لأن الإنكليز أغنياء وأنتم فقراء؟ أو لأنهم أقوياء وأنتم ضعفاء؟ كلا... إنهم لأغنياء بكم وبأمثالكم من الأمم المستخذية ، وليسوا أغنياء عنكم ، وإنهم لأقوياء بما يستمدونه من أرضكم وجيوبكم ، فاقطعوا عنهم المددين يضْووا ويهزلوا ، واخذلوهم في مواطن الرأي والبأس ينخذلوا ، وعمروا جزيرتكم تخرب جزيرتهم ؛ إن لِبدة الأسد هي بعض أسبابه إلى زرع الهيبة في القلوب ، ولكن لبدة الأسد البريطاني لبدة مستعارة ، فلو أن كل أمة استرجعت شعراتها من تلك اللبدة التي تكمن وراءها الرهبة ، لأمسى الأسد هراً مجرود العنق ، معروق الصدر ، بادي الهزال والسلال.
إن الغنى عمل وتدبير ، فلو عملتم لكنتم أغنياء ؛ وإن الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات ، وفطمها عن الشهوات ، وإن القوة مشيئة لا جبر ، فلو شئتم أن تكونوا أقوياء لكنتم ؛ وإن بدء القوة من قوة الأخلاق ، وقوة الاتحاد.
هذا أول الإنكليز عرفتموه ، فهل عرفتم آخرهم؟إنهم كانوا أداة تفريقكم في الماضي ، وكانوا عوناً للزمان عليكم ، فلما رأوا شملكم إلى اجتماع ، وجامعتكم إلى تحقق ، جمعوا لكم كل ما عندهم من مكائد ومصائد...
إنهم ينطوون لكم على العظائم ، وإن في جعبتهم ما في جعبة الحاوي من حيات ، وإن في أيديهم عروق الجسم العربي يضغطون على أيها شاءوا متى شاءوا... ولهم مع ذلك من بينكم العيون الراصدة ، والألسنة الحاصدة ، وفيكم مع ذلك الآذان السامعة ، والهمم الطامعة ، وفي سجلاتهم ذممكم وهممكم وقيمتكم قدروها تقديراً ، وأوسعوها تحليلاً وتدبيراً.
إنهم ما حركوا مشروع سوريا الكبرى في ميقات معلوم إلا ليفتنوا بعضكم ببعض ، ويغروا بيتاً ببيت ، وقريشاً بتميم. فينخرق الإجماع وتفترق الجامعة.

وإن هذه النقطة هي أعلى ما يصل إليه الدهاء الإنكليزي ؛ كما أنها أعسر امتحان للضمير العربي الذي يتمنى أن يتكتل العرب ولكن بدافع من أنفسهم لا على يد عدوهم؛ وإن الإنكليز لقادرون على تحريك غيرها من الفتن المفرقة ؛ وإنكم - أيها العرب - لا تردون كيدهم إلا بإجماعكم على تحديهم ، واجتماعكم على إيقاف تعديهم ، وإقامة جامعتكم على اعتبار مصلحة العرب ، ووطن العرب ، فوق الأغراض والأشخاص.

إنكم لا تردون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية ، حتى تسندوها بجامعة الشعوب العربية؛ فحركوا في وجوههم تلك الكتلة متراصة يرهبوا ثم يذهبوا.

لمسنا في هذه الكلمة حقائق مريرة وأومأنا إلى قضايا يسوؤنا أن نزيد حمأتها مداً.

ولكن ما عذرنا إذا أمسكنا عن الشرح ، ولو كان فيه جرح ، وقد تأدى إلينا من تراث أجدادنا العرب هذه الحكمة الغالية : " من كتم داءه قتله ".

****

قال الأصمعي :

سمعت أعرابياً يدعو الله وهو يقول :.

هربت إليك بنفسي - يا ملجأ الهاربين - بأثقال الذنوب أحملها على ظهري ، لا أجد شافعاً إليك إلا معرفتي بأنك أكرم من قصد إليه المضطرون ، وأمَّل فيما لديه الراغبون ، يا من فتق العقول بمعرفته وأطلق الألسن بحمده ، وجعل ما امتن به من ذلك على خلقه كفاء لتأدية حقه ؛ لا تجعل للهوى على عقلي سبيلاً ، ولا للباطل على عملي دليلاً .

الصفحة الأخيرة

كيف تنجو من العقاب إذا كنت جاسوساً أو فاسداً؟!(1)

ربما تستغرب هذا العنوان وتشعر بالدهشة وتستنكر تشجيع الناس على التجسس والفساد، فهل يصح العفو عن الجاسوس أو إطلاق سراح فاسد الذمة؟!

الجـواب : نـعـم ، إذا كان يضم إلى هاتين الصفتين صفات آخرى لا بد منها ومؤهلات لا يمكن تجاهلها.

أهـم المـؤهـلات التي ترشح الجاسوس خرب الذمة في بلادنا للعفو عنه ، أو إطلاق سراحه أن يكون نصرانياً مثلاً ، والنصرانية دين قائم على التسامح! والكنيسة تخدم لترسيخ هذا المبدأ، فما إن تسمع بأحد "رعاياها" قد وقع في المصيدة حتى تهب للسعي لتخليصه، ومع أنها لا تتدخل في السياسة (كما تزعم) إلا أنها تجد من عون السياسيين وأهل السياسة ما يعجب ويطرب!.

أما إذا انضم إلى "نصرانية" هذا المجرم كونه يحمل هوية أجنبية - ونعني بالأجنبية. غير العربية: أوربية أو أمريكية تحديداً - فهذا المؤهل مؤهل ذهبي، إذ عن طريق التسامح مع حملة هذه الهويات نثبت أشياء كثيرة :

أ - نثبت تحضرنا وبعدنا عن التعصب.

ب - ونثبت عدالتنا التي لا تحابي القريب ، وتبطش بالبعيد ، بل تدق عنق القريب ، وتقول للغريب: "خلا لك الجو فبيضي واصفري".

جـ- ونثبت أخيراً أننا أهل مصالح رخيصة وقريبة المدى لا أهل مبادئ نتحمل كل النتائج للدفاع عنها..

أمـا إذا وقـعـت في الـمـصـيـدة لمجرد وشاية من شخص لم تدخل مزاجه (وكنت مسلماً، لا كـنـيـسة تحنو عليك، ولا هـويـة أجـنـبـية في جيبك تقـيـك شـــر العاديات) فاعلم أنك ستبقى هناك حيث تندب حظك أنك لم تكن ألمانياً جاسوساً أو إنجليزياً راشياً.

إلى أن يـؤوب الـقـارظـان كـلاهـمـا   ويـنـشـر في الـقـتـلى كلـيـب لوائل

هذا إذا بقيت حياً...!.

الهوامش :

(1) في 25/11/1987 أطلقت بعض الدول العربية سراح أحد الـجـواسـيـس وكـان قد منح الجنسية الألمانية عام 1986 وكان حكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً.
وفي 25/2/1988 أفرجت عن البريطاني "جون سميث" الذي كان حكم عليه بالسجن المؤبد لرشوته مسئولين ، فنفذ بشركائه حكم الإعدام ، أما هو فقضى من مدة عقـوبته 7 سنوات فقط وتمتع بالعفو الذي جاء تعبيراً عن حسن نوايا هذه الدولة تجاه الشعب البريطاني.

تمت بحمد الله
